



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف - المسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:.....

رقم التسجيل: ط1 1435100868

رقم التسجيل: ط2 1435089934

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص: أدب حديث ومعاصر

بعنوان:

# صورة الوطن في رواية الوطن ليس هنا "مراد الضفري"

إعداد الطالبين:

\* عبد المجيد بشيري

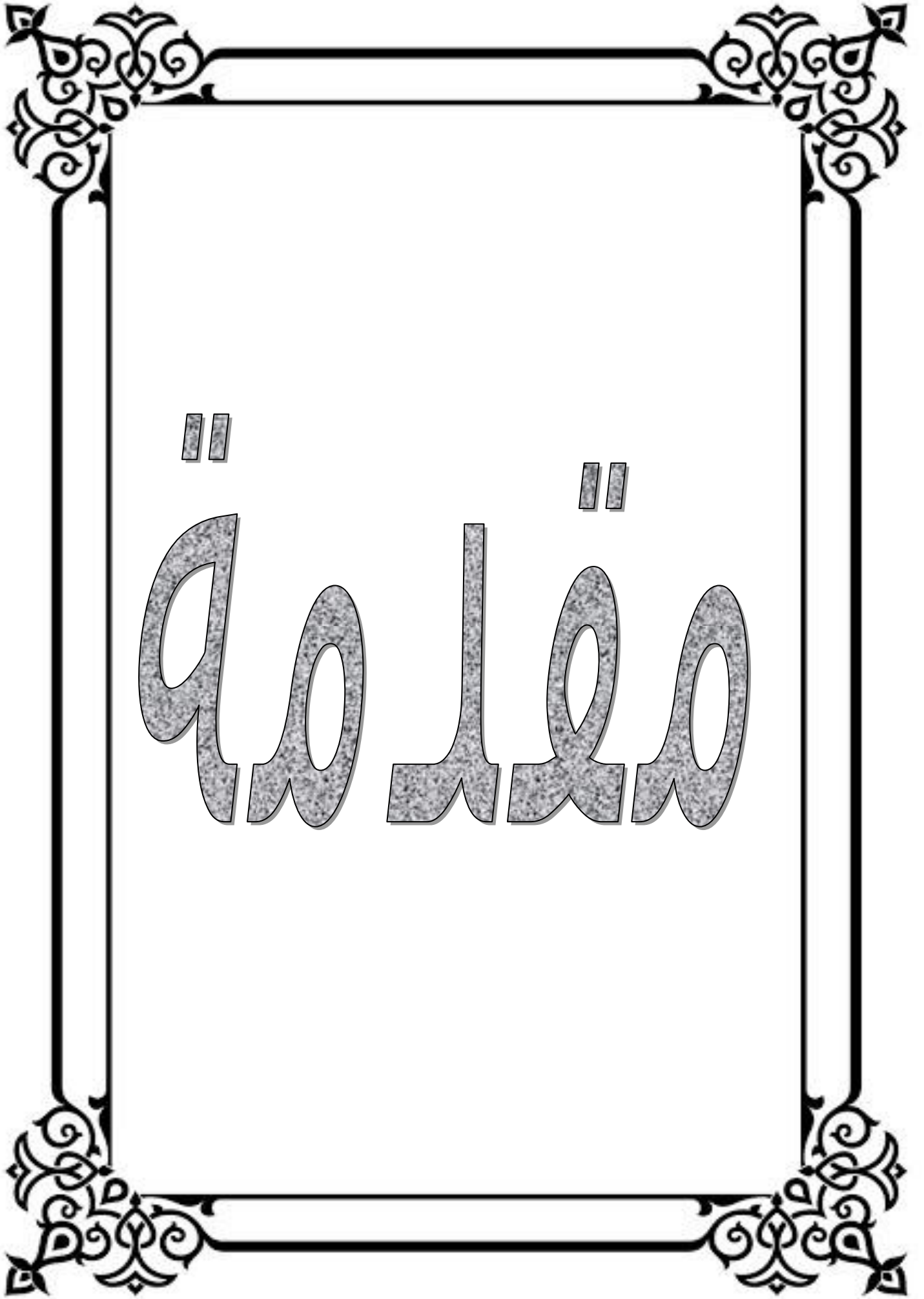
\* علي ديقش

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

رئيسا	جامعة المسيلة	أستاذ محاضر "أ"	د/ أمينة رقيق
مشرفا ومقررا	جامعة المسيلة	أستاذ محاضر "ب"	د/سعاد طالب
مناقشا	جامعة المسيلة	أستاذ محاضر "أ"	د/نسيمة بغداداي

السنة الجامعية: 1439-1440هـ / 2018-2019م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



||

||

مَدِينَة

لقد شغلت القضايا الوطنية والقومية الكثير من النقاد والمبدعين، كما شغلت العام قبل الخاص، وذلك بعدما تسالت إلى يوميات الإنسان عامة والفرد العربي خاصة، وقد كان ذلك كافيا لتتخذ منه مادة دسمة استهلكت في العديد من الكتابات ، فتحاول من خلالها تفكيك وتحليل وعرض لهذه الأزمات الوطنية وهذا وفق رؤى متعددة وصلت إلى حد التناقض، وليس غريبا أو بدعا أن تحكي الرواية عن واقع الإنسان، فقد أصبحت مرآة الواقع تؤدي دورا هاما في كشف الحقائق أو رصد تجارب الإنسان الحياتية اليومية مع مزج همومه واهتماماته، وأحلامه وآماله في إستراتيجية فكرية جمالية ذات قالب أدبي.

ولعل تيمة الوطن من أبرز ما حظي به الخطاب الروائي ومن بين الظواهر الاجتماعية، فكلمة الوطن قد تكون صغيرة ولكنها تحمل بداخلها معان كثيرة فالوطن ليس فقط الأرض التي نعيش عليها، بل هو يتطلب معاني أكبر من ذلك فهو روح الانتماء للمكان الذي نحيا به، هو الشعور بالغيرة كلما ابتعدت عنه، هو الأسرة والأرض والحياة المليئة بالسعادة، هو الأمن والأمان والسكينة والطمأنينة هو الحب والحياة، الوفاء والتضحية وسعي الإنسان نحو رفعة وطنه والانتقال به إلى أعلى المنازل والمراتب.

وبناء على ما سبق فقد اخترنا رواية "الوطن ليس هنا" للكاتب المغربي مراد الضفري وذلك من أجل معالجة ظاهرة الوطن وصوره.

ومن الأسباب التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع الميل إلى الفن الروائي أكثر من الشعر، كما تغطي مواضيع الرواية على الأدب ، وكذلك لإعجابنا بالكاتب وروايته التي نحن بصدد معالجتها لأنها تتناول موضوعا حساسا يعيشه الوطن العربي الآن وقد عاشه من قبل.

## مقدمة

وانطلاقاً مما سبق فقد أردنا من خلال بحثنا هذا الموسوم بـ "صورة الوطن" في رواية "الوطن ليس هنا" لمراد الضفري أن نسلط الضوء على أهمية الوطن في حياة الإنسان وما الذي يمثله له.

وقد كان دافعنا لاختيار هذا الموضوع هو قلة البحث في هذا الموضوع ، ومن بين أهم الدراسات السابقة في هذا الموضوع "صورة الوطن في الرواية الجزائرية،"بحر الصمت"لياسمينة صالح أنموذجاً"، أما بخصوص الجديد الذي سنأتي به هو علاقة الحب والمرأة بالوطن، وكذلك المكان.

ومن هنا نطرح التساؤلات التالية:

- ما هي العلاقة التي تربط الإنسان بوطنه؟
- ما هو دور المرأة في الوطن وكيف يراها الكاتب من خلال تجربته الخاصة؟
- فيما تمثلت الصور المتعددة التي تجلى فيها الوطن في الرواية ؟

ولقد فرضت علينا طبيعة هذه الدراسة اعتماد المنهج السيميائي والمنهج الوصفي التحليلي إذ رأينا أنهما الأنسب لإبراز دلالات الوطن .

وللإجابة على هذه التساؤلات قسمنا بحثنا إلى مقدمة وخاتمة وفصلين:

**الفصل الأول:** تناولنا فيه الصورة الروائية، وبعض المصطلحات وقد قسمته إلى أربعة مباحث، المبحث الأول بعنوان مفهوم الصورة لغة واصطلاحاً ثم مفهوم الصورة الروائية.

أما المبحث الثاني فجاء تحت عنوان معايير الصورة الروائية ألا وهي السياق، والنص والطاقة البلاغية، وديناميكية التخييل.

أما المبحث الثالث فحمل عنوان دلالات الصورة الروائية ألا وهي اللغة، الشخصيات، والمكان.

## مقدمة

والمبحث الرابع كان بعنوان الوطن في الرواية العربية، وفيه تعريف الوطن وبعض نماذج من صور الوطن في الروايات العربية.

أما الفصل الثاني، وهو الفصل التطبيقي فقد احتوى على مبحثين الأول كان بعنوان شعرية السيمياء في الرواية وفيه تناولنا سيميائية كل من الإهداء والغلاف والعنوان.

أما المبحث الثاني فوسمناه ب: تجليات الوطن في الرواية التي تمثلت في المرأة، المدينة المقهى، المفقود، الهجرة، الحب، الانتماء.

وأنهينا هذه الدراسة بخاتمة اشتملت أهم النتائج المتوصل إليها.

وقد استعنت في بحثي هذا بمجموعة معتبرة من المراجع أهمها:

- صورة المغرب في الرواية الإسبانية للكاتب محمد أنقار
- بلاغة الخطاب وعلم النص للكاتب صلاح فضل

وكغيرنا من الباحثين اعترضتنا جملة من العوائق أهمها:

تشعب الدراسات حول هذا الموضوع واتساع أبوابها وتداخلها وقلة الأبحاث حول هذه

الدراسة لجدة الفكرة المتناولة بالبحث.

## مقدمة

وفي الختام لا يسعنا إلا أن نتوجه بالحمد والشكر والثناء لله سبحانه وتعالى فلولاه لما تم هذا البحث، وما يسعنا أيضا إلا أن نتقدم بجزيل الشكر والامتنان لأستاذتنا المشرفة "سعاد طالب" لقبولها الإشراف على هذا البحث وتسخير وقتها من أجل إتمامه، والشكر موصول أيضا للجنة المناقشة على تكريمهم لقراءة بحثنا هذا من أجل تقويمه وتصويبه.

## الفصل الأول:

### الصورة الرواية وبعض المصطلحات

- مفهوم الصورة وقيمتها
- معايير الصورة الروائية
- دلالات الصورة الروائية
- الوطن في الرواية العربية

## الفصل الأول: الصورة الروائية وبعض المصطلحات

### الفصل الأول: الصورة الروائية وبعض المصطلحات

#### المبحث الأول: مفهوم الصورة وقيمتها:

الصورة الأدبية تعد من القيم الهامة والأساسية في الأعمال الأدبية سواء الشعراء منها أو النثرية لأنها هي الوسيلة الجيدة والدقيقة في إظهار التجارب الشعورية بما تحوي من أفكار وخواطر ومشاعر وأحاسيس، وبدونها لا نعرف شيئاً بدقة عن تجارب الغير.

#### الصورة لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور - مادة (ص.و.ر) - "الصورة في الشكل والجمع صوره وقد صوره فتصور، وتصورت الشيء توهمت صورته فتصور لي، والتصاوير هي التماثيل، وقال ابن الأثير: الصورة ترد في لسان العرب - يقصد ألسنتهم - على ظاهرها. وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته وعلى معنى صفته، يقال صفة الفعل كذا وكذا أي هيئته. وصوره كذا وكذا أي صفته"<sup>1</sup>

"وقد يراد بالصورة الوجه من الانسان أو الهيئة من شكل وأمر وصفة"<sup>2</sup>

"وأما التصور فهو مرور الفكرة بالصورة الطبيعية التي سبق أن شاهدها وانفعل بها ثم اختزنها في مخيلته مروراً بها يتصفحها"<sup>3</sup>

#### الصورة اصطلاحاً:

اهتم البلاغيون والنقاد العرب بدراسة الصورة وتحليل أركانها وبيان وظائفها من خلال دراساتهم للأسلوب القرآني الذي اعتمد الصورة في التعبير عن أغراضه الدينية والشعر العربي الذي حفل بها حتى لا تكاد تخلو في كل عمل أدبي.

<sup>1</sup> ابن منظور: لسان العرب، دراسة لسان العرب، دار صادر، مادة صور، بيروت، ص 492.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 492.

<sup>3</sup> صلاح عبد الفتاح الخالدي - نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، الفنون المطبعية، الجزائر، 1988، ص 74.

## الخصل الأول: الصورة الروائية وبعض المصطلحات

وأقرب تعريف للصورة لدى القدماء هو ما قدمه عبد القاهر الجرجاني 471هـ حينما قال: وأعلم أن قولنا: "الصورة إنما هو تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا فما رأينا البنيوية بين أحد الأجناس الأدبية تكون من جهة الصورة. فكان بين إنسان من إنسان وفرس من فرس بخصوصية تكون في صورة هذا لا تكون في صورة ذلك، وكذلك الأمر في المصنوعات فكانبين خاتم من خاتم"<sup>1</sup> أما بالنسبة للمفهوم الاصطلاحي للصورة لدى النقاد المحدثين فهو غير مضبوط ويختلف من أديب أو ناقد لآخر، ويكفي أن نورد في هذا المقام ما قاله الدكتور عبد القادر القط: الصورة الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكامنة في القصيدة. مستخدماً طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتركيب والإيقاع والحقيقة والمجاز والترادف والتضاد والمقابلة والتجانس وغيرها من وسائل التعبير الفني (...). والألفاظ والعبارات هي مادة الشاعر الأولى التي يصوغ منها ذلك الشكل الفني أو يرسم بها صورته الشعرية.<sup>2</sup>

### مفهوم الصورة في القرآن الكريم:

وردت كلمة الصورة في القرآن الكريم ست مرات، بصيغ مختلفة فذكرت بصيغة الماضي والجمع في قوله تعالى «وَوَوَّرَكُمُ وَأَخْمَسَنَّ سَوْرَكُمُ» غافر آية (64) وبصيغة الماضي في قوله «وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ» الأعراف آية (11)

كما تعددت بصيغ أخرى مثل المضارع واسم الفاعل وصيغة المفرد كذلك وقد ذهب الكثير من المفسرين إلى أن الصورة هي "الشكل"، ويرى الزمخشري أن الله خلق الإنسان على هيئة ميزته عن سائر المخلوقات.<sup>3</sup>

وبذلك يمكن أن نوسع من مدلول استعمال الكلمة في القرآن الكريم ليشمل الشكل والمضمون معاً. وهذا المفهوم ينسجم مع آيات أخرى في القرآن الكريم، تعدد المشركين

<sup>1</sup>الزمخشري،: الكشف.. دار الكتاب العربي، ص435

<sup>2</sup>عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، ص 365.

<sup>3</sup>عبد القادر القط: الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، دار النهضة العربية، ط2، 1981م، ص 391.

## الخصل الأول: الصورة الروائية وبعض المصطلحات

كالأنعام لأنهم فقدوا ميزة الإنسان في الإدراك والتفكير وإن كانوا في ظاهرهم على شكل صورة الأدميين البشر.

### مفهوم الصورة الروائية أو الصورة السردية:

ترتبط الصورة الروائية أو الصورة السردية الموسعة بالباحث المغربي محمد أنقار كما يتضح ذلك في كتابه صورة المغرب في الرواية الاستعمارية الإسبانية، ويعرفها بأنها تصوير لغوي وفني وجمالي وتخيلي بامتياز، تعبر عن الخلق والابتكار والإبداع الإنساني ومن ثم فهي تتشكل من سياقات عدة نصية وذهنية وأجناسية ونوعية ولغوية وبلاغية، بمعنى أن الصورة سواء كانت جزئية أم كلية، فهي في نظر أنقار تعبير لغوي وتخيلي وبلاغي. كما أنها مجموعة من القواعد الجنسية والنوعية وطاقة لغوية وبلاغية تتجاوز البلاغة التزينية التي ترتبط بالشعر إلى بلاغة سردية موسعة وفي هذا الصدد يقول محمد أنقار "إن كل هذه الحدود اللغوية والدلالية والجمالية لا تنفي اشتراك الصورة الروائية مع مطلق الصور في الثوابت الحسية، والطابع الخيالي والتموضع بين الواقع الخارجي وذهن المتلقي فالطابع الحسي كمبدأ أساسي في الصورة ولكنه لا يمثل جوهرها ولا الوظيفة المنوطة بها " ...<sup>1</sup> فاللجوء إلى التعبير الحسي وسيلة من وسائل تأثير الصورة الحسية وهي المعطي الأساسي الذي يستعيره الكاتب من العالم المحسوس لينجز منه صورة بشكل لغوي .

" وعلى هذا الأساس يمكن القول : إن الصور الفنية لا تثير في ذهن المتلقي صورة بصرية فحسب . بل تثير صورة لها صلة بكل الإحساسات الممكنة التي يتكون منها نسيج الإدراك الإنساني ذاته ... تلك إذا هي الحدود العامة للصورة الروائية فهي في هذا السياق نقل لغوي لمعطيات الواقع ... ثم هي حسية وقبل كل ذلك هي إفراز خيالي ...<sup>2</sup>

<sup>1</sup> محمد أنقار: صورة المغرب في الرواية الإسبانية، مكتبة الإدريسي للنشر والتوزيع، تطوان، ط1، 1994م، ص 15.

<sup>2</sup> محمد أنقار: المرجع نفسه، ص 15.

## الذيل الأول: الصورة الروائية وبعض المصطلحات

إن الصورة بهذا المعنى هي نتاج ثري لفعالية الخيال الذي لا يعني نقل العالم وإنما إعادة التشكيل واكتشاف العلاقات الكافية بين الظواهر والجمع بين العناصر المتضادة أو المتباعدة في وحدة، وإذا فهمنا هذه الحقيقة جيدا أدركنا أن المحتوى الحسي للصورة ليس من قبيل النسخ للمدركات السابقة، وإنما هو إعادة التشكيل لها وطريقة فريدة في تركيبها إلى الدرجة التي تجعل الصورة قادرة على أن تجمع الإحساسات المتباينة، وتمزجها وتؤلف بينها في علاقات لا توجد خارج حدود الصورة، ... وعلى هذا الأساس يمكن القول: إن الصورة الفنية لا تثير في ذهن المتلقي صوراً بصرية فحسب بل تثير صوراً لها صلة بكل الإحساسات الممكنة التي يتكون منها نسيج الإدراك الإنساني ذاته .

### أهمية الصورة الروائية ودورها في إيضاح دلالة النص :

نشأت أهمية الصورة الفنية من خلال معركة البلاغيين في الفصل بين اللفظ والمعنى حيث أوجد هذا الفصل تقسيماً ظاهراً في النص الأدبي وجعله ذا دلالتين: خارجية تتصل بالشكل وداخلية تتصل بالمضمون .

وتعود بدايات هذا التقسيم إلى المذهب المعتزلي في فهم الخطاب القرآني حيث يرون -المعتزلة - أنه ذو بعدين البعد الأول : يتمثل بالفن القولي في دلالاته المحسوسة من اللفظ التي تهتم بكل صنوف التعابير المجازية والمحسنات البديعية وهذا انتصار للشكل، والبعد الثاني يتمثل بالمعنى الذهني المجرد الذي يرصده المتلقي في النفس من خلال معنى ذلك اللفظ وهذا انتصار للمعاني وكانت هذه بداية للبحث عن الألفاظ مرة وعن المعاني مرة أخرى، ومن هذا الانقسام والقطيعة بين اللفظ والمعنى يقول الدكتور محمد حسن علي الصغير: " نشأت الحاجة إلي الصورة الفنية باعتبارها أداة لها طريقتها الخاصة في عرض المعاني مقترنة بألفاظ ليتفاعل المتلقي للنص الأدبي وهو مرتبط بجزئية في وقت واحد، فلا فصل بينهما ولا يتميز أحدهما عن الآخر فيكتسب حينذاك العمل الأدبي مناخاً يشعرك بالتنام اللغة والفكر بإطار موحد ينهض بسبب النص وتحديده (...). ويكون طريق كشف هذه

## الذيل الأول: الصورة الروائية وبعض المصطلحات

العلاقات وهو التقل في استنباط المعاني من سبل صياغتها في التشبيه والاستعارة والتمثيل والمجاز" ...<sup>1</sup>

كما يرى في ذلك أن الصورة تقيم للمتلقى المستوى الذهني على الحسي كونها تبعث فيه إشارات دلالية لتوضح له المعنى فيقول: لتقيم على الذهني بالحسي وتلخص القيمة من خلال الظاهر إلى الواقع ومن مجاز القول إلى الحقيقة ومن التعبير الاستعماري إلى الأصل الاستعمالي ومن النظر في المشبه به لإدراك شأن المشبه ومن التمثيل إلى كنه الشيء. وهذه هي مجموعة العلاقات في التناسب واللحمة التي تبنى عليها أصول الصورة الفنية.<sup>2</sup>

ومن النقاد المحدثين من يرى أن للصورة مزية وأهمية في إيضاح دلالة النص فيعقد مقارنة بين الصورة الفنية والصورة الفوتوغرافية. وفي هذا الصدد يقول منير سلطان "الصورة هي اللقطة التي تسجل وضعا معيناً لشيء، سواء كان حياً أم ظواهر طبيعية. وهذا ما تصنعه آلة التصوير، وكذلك ما يصنعه الفنان، لكن بينهما فروقا، فالصورة الفنية اللغوية تتميز بأن اللقطة التي يسجلها الفنان في وضع معين للشيء تضيف حياة على ما تصور ولا تثبته في وضع معين جامد، بل هي تمنحه من الحركة واللون والإيقاع ما يجعله ربما أجمل من واقعه".<sup>3</sup>

<sup>1</sup> محمد حسين علي الصغير: نظرية النقد العربي رؤية قرآنية معاصرة، دار المؤرخ العربي، ط1، بيروت، ص10.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 10.

<sup>3</sup> منير سلطان: الصورة الفنية في شعر المتنبي، منشأة المعارف، الاسكندرية، 2002، ص149.

## الذيل الأول: الصورة الروائية وبعض المصطلحات

بل نجد أن الصورة اتسعت دلالاتها وتعددت معانيها وهذا كونها واسعة الأفق والتأويل وهذا ما دفع ريتا عوض إلى القول بأن: "الصورة الشعرية أصبحت تحمل لكل إنسان معنى مختلفا كأنها تعني كل شيء"<sup>1</sup>.

كما أنها: "قالب لغوي صغير يحمل القارئ ليوصله إلى المعنى العميق المتحرك الذي قصده الأديب أو الشاعر ليشاركه الإحساس الذي يشعر به فيقع التأثير، وتبدأ الاستجابة بالرضا أو السخط وفقا للمعنى الذي وصل إليه. والذي أراده الشاعر أو الأديب"<sup>2</sup>.

فالصورة تمتلك خاصية الكشف والبحث العميق للإفصاح عن المعاني، وعلى هذا الأساس يقاس نجاحها، ويحدد المدى الذي استطاعت أن تبلغه وتحقق فيه من تناسب بين حالة الفنان الداخلية وما يصوره خارجيا على أشكال قوالب لغوية ومن هنا تكمن أهمية الصورة إذ بواسطتها تتحقق خاصية الشعر أو الأدب ككل وهي أن نحيل المعاني المجردة إلى تمثيلات عينية تتفاعل لها الحواس. كما تكمن أهمية الصورة في فرض سيطرتها التي تفرض علينا نوعا ما من الانتباه للمعاني التي تعرضها وكذلك في الطريقة التي تجعلنا نتفاعل بها مع ذلك المعنى ونتأثر به.

فللصورة دور فعال في إيضاح معنى النص فما هي، إلا ذلك التعبير الذي يهدف إلى تحويل غير المرئي من المعاني إلى المحسوس، وتقريب الغائب إلى نوع من الحضور بما يثير الاختلاف ويستدعي التأويل بقرينه أو دليل، والصوغ اللساني المخصوص الذي تتمثل المعاني فيه تمثلا جديدا مبتكرا متفردا متميزا.<sup>3</sup>

فهي لا تشغل الانتباه لذاتها بل تريد لفت انتباهنا إلى المعنى الذي تعرضه وذلك عن طريق مفاجئتنا في أسلوب تقديمه، لنفرض بذلك على المتلقي نوعا ما من اليقظة والفتنة

<sup>1</sup>ابراهيم أمين الزرزموني: الصورة الفنية في شعر علي الجارم، دار قباء للطباعة، ص91، عن ريتا عوض: بنية الشعر الجاهلي، ط1، 1994، ص19.

<sup>2</sup>خصويوي حامد محمد: الصورة الفنية في شعر صقرالشبيب، ماجستير، جامعة الشرق الأوسط، ص13.

<sup>3</sup>ينظر: بشرى موسى صالح: الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي، بيروت، 1994م، ص3.

## الخصل الأول: الصورة الروائية وبعض المصطلحات

ليحاول تفكيك رموزها والوصول للمعنى المراد به، كما تشغل بال المتلقي بنوع من الفضول والتأمل الدقيق حول العلاقات المتشابهة والمتشابهة التي تقوم عليها الصورة وهنا أيضا تكمن أهمية الصورة.

وهي من أقدر الوسائل على نقل الأفكار العميقة والمشاعر الكثيفة في أوفر وقت وأوجز عبارة، وكلما أمعن الناظر فيها استقطب أفكارا جديدة ومشاعر متجددة والغاية من الصورة أن تعرض الحقائق المعروفة والواقع المألوف في صورة حسية بنمط روحي ويمكن تفسير ذلك الأثر الذي ترسمه الصورة في نفس المتلقي إذا ما نظرنا إليها من حيث كونها كل مترابك وبنية علائقية بين الكاتب والمتلقي، فالشاعر أو الأديب إن صور شيئا لم يستطع أن ينقله إليك نقلا وإنما يعطيك أثره فيه ووقعه على نفسه وما بعث فيه أحاسيس ومشاعر وذكريات دفيئة ومهما كانت بلاغته لن يستطيع أن يجسم لك ذلك في صورة معينة، وإنما هي على شكل أوصاف تتعاقب في الزمن فتجتمع لك منها صورة في نفسك تؤلفها أنت من شتات الألفاظ.

### المبحث الثاني: معايير الصورة الروائية

#### 1- السياق والنص:

إن الكتابات المعاصرة تفرض علينا كقراء متخصصين تجاوز قواعد البلاغة الثابتة والمتداولة بل والجاهزة، والتي أوجدتها سياقات العصور السابقة وأبدعت فيها أعمال شعرية ونثرية، وأخيرا حظيت الأجناس الأدبية الأخرى كالرواية مثلا من هذا المنحى البلاغي الجديد والمتنوع الذي فرضه عصر جديد يشكل سياق هذا الرهان المتغير بشكل مستمر. فقد كانت البلاغة ومنذ القدم عبارة عن مجموعة من القواعد التي تشكلت بناء معقدا ذا طبيعة نسقية، وظيفته الأساس إنتاج نصوص حسب تلك القواعد الموضوعية من صور بلاغية تخيلية مختلفة كالتشبيه والاستعارة والمجاز وغيرها، وكذلك المحسنات البديعية، وإلا كيف لنا أن

## المُضد الأول: الصورة الروائية وبعض المصطلحات

نفرق بين أسلوب الشعر الغنائي وأسلوب أي عمل قصصي مثل الرواية أو غيرها، ذلك أن خصائص كل نوع أدبي تفرض نفسها.

لقد غير الاهتمام بالسياق مجرى الدراسات اللسانية البنيوية التي لم تكن تهتم بالسياق الخارجي لأنها تعده عنصراً خارجياً عن النظام اللغوي لكن سرعان ما تغير هذا التصور وبخاصة مع المدرسة الانجليزية التي أعادت الاعتبار له، فقد بينت للساني كيف أن السياق بنوعه يساعدان على فهم النص وفك رموزه فليس بمقدورنا الاستغناء عن السياق اللغوي أو غير اللغوي فهما كالعملة الواحدة ذات الوجهين، فأن عملية البحث عن تماسك النص تلزماً بالضرورة العودة إلى عناصر لغوية وأخرى غير لغوية ممثلة في السياق بنوعه، والغرض من التركيز على هذين العنصرين يكمن في: "التطلع إلى فهم أدق للاشتراك الفعلي لعمليات تقع خارج اللغة الواقعية التي استلزمها غايات تفسيرية لا محدودة تتجاوز الأطر الظاهرة والنفلة السطحية، وترنو إلى استمرارية التفاعل بين النص ومثليه في حركة تحافظ دينامية النص من جهة وعلى تعدد القراءة التي تنتج نصوص خلاقة في الربط والتلقي اللغوي والجمالي من جهة أخرى"<sup>1</sup>

وبما أن الصورة الروائية تتشكل من عناصر لغوية متماسكة هي في حد ذاتها تشكل نصاً. لذا فالنص تتجاذبه علاقته الداخلية كي يتماسك ومن ثم فهو واقع بين التأثير والتأثر من قبل البيئة المحيطة وهذا ما يؤكد لنا العلاقة التلازمية بين النص والسياق باعتباره يؤثر فيه ويفضله نتمكن من القبض على المعنى النصي أو الصورة اللاحائية التي رسمها الكاتب في إطار كلمات، ولعل هذه الأهمية للعلاقات بين النص والسياق هي التي دفعت هاليداي ورفيقه حسن إلى جعل عنوان كتاب لهما "اللغة، السياق، والنص" الذي أكد فيه أن الفكرة الأساسية تهدف إلى إجلاء العلاقة بين النص والسياق، هذه العلاقة مؤكدة «فكل من النص

<sup>1</sup> سعيد حسن البحيري: علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، مكتبة لونجمان، القاهرة، ص13.

## الذيل الأول: الصورة الروائية وبعض المصطلحات

والسياق يمكن تفسيره بالرجوع إلى الآخر...<sup>1</sup>. فإن كان عليك أن تحدد الصورة أو تفسرها عليك اتباع النص والسياق الذي بني عليه وهذا ما يؤكد عليه جونز لاينز أيضا إذ يرى أن كلا منهما متمم للآخر، "وتعتبر النصوص مكونات للسياقات التي تظهر فيها أما السياقات فيتم تكوينها وتحويلها وتعديلها بشكل دائم بواسطة النصوص التي يستخدمها المتحدثون. والكتاب في مواقف معينة"<sup>2</sup>

ومن هنا يتضح لنا أن فهم النص وتفسيره لا يأتي إلا بالرجوع إلى السياق باعتباره يلعب دورا كبيرا في جلاء معنى النص وإبرازه لتشكل لنا الصورة النهائية التي أراد الكاتب إيصالها للمتلقي، وكلما تعددت الصور تعددت الكلمات الدالة عليها وهذا راجع لأسلوب الكاتب وبلاغته فتعدد أنواع الكلمة الواجدة يرجع إلى تعدد المواضيع التي ترد فيها، والذي بدوره يؤدي إلى أنواع عديدة من السياقات، ويرى أصحاب نظرية السياق أن معنى الكلمة هو "استعمالها في السياق، ولهذا صرح فيرث بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال وضع الوحدة اللغوية في سياقات مختلفة لذلك يقول أحد أصحاب هذه النظرية معظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات أخرى وأن معاني هذه الوحدات لا يمكن وضعها أو تحريرها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها"<sup>3</sup> ومن أجل تركيزهم على السياقات التي ترد فيها الكلمة وأهمية البحث عن ارتباطات الكلمة بالكلمات الأخرى نفوا أن يكون الطريق إلى معنى الكلمة هو رؤية المشار إليه أو وصفه أو تعريفه.

ومن هنا فإن دراسة أو تفسير أي صورة من أشكال الصورة الروائية يجب علينا تتبع الكلمات واحدة بواحدة ودراستها وتحليلها وكل ما يتطلب تحليل السياقات والمواقف التي ترد

<sup>1</sup> يوسف أوغليسي: الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض بحث في المنهج إشكالية إصدارات رابطة الإبداع الثقافية، الجزائر، 2000، ب ط، ص 117، 118.

<sup>2</sup> جون لاينز: اللغة والمعنى والسياق، ترد\_عباس صادة الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، العراق، ط1، 1987م، ص 215.

<sup>3</sup> تمام حسن: الأصول، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1990م، ص 332.

## الخصل الأول: الصورة الروائية وبعض المصطلحات

فيها وبذلك فإن معنى الكلمة يتحدد تبعاً لتعدد السياقات التي تقع فيها واستعمال الكلمة عند النقاد السابق ذكرهم يحكمه أمران:

الأول: "السياق اللغوي نفسه (VoibalContext) الذي لا ينظر إلى الكلمات كوحدات منعزلة. فالكلمة يتحدد معناها بعلاقتها مع الكلمات الأخرى في السلسلة الكلامية"<sup>1</sup>...

الثاني: "سياق الموقف (ContextOf Situation) أو سياق الحال عند فيرث وهو نوع من التجريد من البيئة أو الوسط الذي يقع فيه الكلام، وسياق الحال يشمل أنواع النشاط اللغوي جميعاً كلاماً وكتابة. غير أن بلوم فيلد السلوكي حدد سياق الحال بظواهر يمكن تقريرها في إطار من الأحداث العملية وهو عنده مادي. ولهذا نجده يتجاهل حقائق لها شأن بالكلام"<sup>2</sup> سياق الموقف يتكون من ثلاث عناصر هي:

1. شخصية المتكلم والسامع ومن يشهد الكلام ودور المشاهد في المراقبة والمشاركة.
2. العوامل والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية المختلفة بالحدث اللغوي.
3. أثر الحدث اللغوي في المشتركين كالإقناع أو الفرح أو الألم أو الإغراء...<sup>3</sup>

ويمكن أن نعطي مثالا للتوضيح أكثر فعل "أكل" ومعانيه المتعددة من خلال السياقات المختلفة ومن خلال مجتمعين أو بيئتين لغويتين مختلفتين فنعرض أولاً للفعل في المستوى الفصيح الذي يتمثل في السياقات القرآنية التالية:

1. «وَقَالُوا مَا لِيَ الرَّسُولُ يُأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمَشِي فِي الْأَسْوَاقِ» الفرقان الآية 7 بمعنى التغذية للإنسان
2. «وَأَخَاهُ أَنْ يَأْكُلَهُ الدَّيْبُ وَأَنْتُمْ مَخْفُونُونَ» سورة يوسف الآية 13 بمعنى افتراس للحيوان
3. «أَتَجِبُّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا» الحجرات الآية 12 بمعنى الغيبة

<sup>1</sup>تمام حسن: المرجع السابق، ص 250.

<sup>2</sup>محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص 310، 311.

<sup>3</sup>سامي عياد حنا: كريم زكي حسام الدين، نجيب جريس: معجم اللسانيات الحديثة، ص 8.

## الخصل الأول: الصورة الروائية وبعض المصطلحات

من خلال هذه السياقات اللغوية نتمكن إذا من تحديد المعاني المختلفة للفعل أكل والذي ورد سابقا في سياقات متعددة وهذا يظهر جليا في تفسير وتأويل كل صورة تكون أمام المتلقي، وقد قسم مالمينو فسكي من قبل مصطلح السياق إلى نوعين: الأول سياق الحال أو الموقف، والثاني السياق الثقافي فكل من السياقين ضروري في عملية فهم النص فهما كاملا، وهذا ما يلعبه كل منهما من دور بارز في تفسير النص التي بدورها تعطي تحليلا متكاملا لبسط الصورة وتفكيكها، كما نجد فان ديك في مقاله النص بنياته ووظائفه مدخل أولي إلى علم النص "قد ذهب إلى تقسيم السياق إلى مستويات كالآتي:

1. **السياق التداولي:** "وفيه لا تكتفي بدراسة الملفوظات اللغوية أو النصوص من حيث بناها فحسب وإنما أيضا من حيث وظائفها"<sup>1</sup> بمعنى أن دراسة أي نص لا تكون بهدف معرفة شكله ومحتواه، وإنما الهدف منها هو معرفة الوظائف التي ينجزها أيضا
2. **السياق الإدراكي أو المعرفي:** ويركز فان ديك فيه على ما يسميه فهم النص، وهو في نظره يقوم على المخطط المتكون من مستعمل اللغة حيث "أن مستعمل اللغة سوف يفهم بالدرجة الأولى الكلمات ومجموعة الكلمات والجمل ومن ثم متتاليات الجمل"<sup>2</sup>
3. **السياق النفسي الاجتماعي:** المقصود به المفعول الذي تحدثه النصوص على مستعملي اللغة سواء فرديا أو جماعيا فالأمر لم يعد متعلقا بالتساؤل عن ما يفعل القارئ أو المستمع بالنص، وإنما ما هي العوامل الاجتماعية التي تلعب دورا في فهم النص.
4. **السياق الاجتماعي:** أي الاهتمام بالعلاقات القائمة بين السياق الاجتماعي واستعمال اللغة كما أن هذه المواقف الاجتماعية التي تنتج في النصوص لها دور كبير في فهم النص وإيضاحه.
5. **السياق الثقافي:** "يعتبر النص ظاهرة ثقافية إذ من خلاله يمكن أن نستخرج بعض الخلاصات التي تهتم البنية الاجتماعية للمجموعات الثقافية كما يمكن أن نستخلص منها

<sup>1</sup> علي آية أوشان: السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء ط1، 2000م، ص ص82.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص83.

## الذيل الأول: الصورة الروائية وبعض المصطلحات

المحادثات المستعملة في مقامات خاصة ودور أعضاء المجتمع وحقوقهم  
وواجباتهم... إلخ"<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup> فان ديك: النص بنياته ووظائفه، مدخل أولي إلى علم النص، ص76، 77.

### 2- الطاقة البلاغية أو الخطاب البلاغي:

لم تعد دراسة النص الأدبي أمراً ثانوياً بل تعدته لتتعمق أكثر في التفاصيل كالصورة مثلاً أو الرمز والأسطورة، فيصبح النص الأدبي بشموليته أساس الدراسة والبحث فالقضية ليست مجرد اهتمام بمعنى النص أو الفكرة القائمة فيه وإنما الاهتمام بالنص وكيفية بنائه باعتباره حلقة وصل أو نموذج التقاء بين المبدع والمتلقي والأديب لا يبدع في مجرد الفكرة التي يقدمها أو الصورة التي يرسمها ولكنه يبدع في النص من خلال تداخلاته المختلفة وأساليب الصياغة فيه. وإذا كانت مكونات النص الأدبي واحدة عند المبدعين فإن طرق استغلال هذه المكونات تختلف من كاتب إلى آخر وكذلك الأمر بالنسبة للصورة الروائية المشكلة في الرواية والمكونة داخل النص الأدبي، فيكون هذا الاختلاف من حيث القدرة على استغلال اللغة في مستوياتها الصوتية والمعجمية والجمالية والتركيبية، فدراسة النص وفهمه يتطلب تحليل الخطاب البلاغي وعلاقته بتأويل النص.

ونجد أنفسنا أمام مستويين مختلفين في فهم الخطاب البلاغي وتحليله بين مقدمين ومحدثين، ولكن سنركز أكثر على المستوى الثاني وذلك من خلال وعي الكاتب بأدواته البلاغية وتطويرها مع زيادة وعيه بعمله الفني وكذلك من خلال فهم المتلقي للنص وفق أسس علمية، تتجاوز مرحلة الانفعال السريع بالخطاب، إلى الوعي الكامل بأبعاده ومستوياته الفنية وهنا يمكن ملاحظة علاقة النص بالمستوى البلاغي في الدراسة الحديثة "على أن تحول البلاغة الجديدة في الواقع إلى علم النص يرتبط بمدى قدرة البلاغة في الثقافات المختلفة على تكوين نموذج جديد لإنتاج الخطاب بكل أنماطه دون الاقتصار على نوع واحد منه"<sup>1</sup> وهذا ما يساهم فيه الخطاب البلاغي في عدة مفاهيم جديد للنص وذلك من خلال تنوع أساليبه ولغته، وكل ذلك يبحث في كيفية الإنتاج الخلاق للنصوص التي تصب في علم النص.

<sup>1</sup>صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، ع164، الكويت، 1992م، ص233.

## الخصل الأول: الصورة الروائية وبعض المصطلحات

تعتمد مكونات الخطاب البلاغي في النص الأدبي على اللغة التي يوظفها الأديب في عمله الأدبي غير أن لغة الخطاب البلاغي تختلف عن اللغة المعجمية، فهي لغة ينتقل بها الأديب من مرحلة التعامل مع اللغة ومحاولة التفاعل معها إلى مرحلة السيطرة على اللغة وفق أحاسيسه ومشاعره المتنامية، وهو بذلك يوظف اللغة توظيفا فنيا من خلال وسائل خطاب غير عادية يستطيع بواسطتها أن يدفع المتلقي إلى تصور ما يريد "فعندما يتصل الأمر بالانتقال من معنى إلى آخر فنحن في مجال التغيير الدلالي، أي في مجال قلب معاني الكلمات وتبديلها كي تتصور أن الرجل ليس رجلا وإنما هو ذئب أو أرنب أو دودة، أو أن القط ليس قطا بل هو إمبراطور أو أبو الهول أو امرأة، فالشاعر يريد منا أن نظن ما يظنه هو ونرى ما يراه، ولا يستخدم الشكل البلاغي، إلا ليطمس شكل العلامات اللغوية ويغير معناها"<sup>1</sup> والمبدع في ذلك يوظف طاقته الفنية والبلاغية من أجل الارتقاء باللغة إلى مستوى بلاغي يتجاوز فيه لغة النص، والمبدع يعتمد على الخطاب البلاغي في توجيه أحاسيس المتلقي والسيطرة على انفعالاته ولا بد من إعطائه الحرية المطلقة في الارتقاء بالخطاب البلاغي ليصل إلى المستوى المطلوب في نمو الصورة، والدفع بها باتجاه التفاعل الحيوي بين النص والمتلقي.

وإذا كانت المراحل من الإبداع الفني في التراث الشعري قد بدأت من منطلق يحدد مبدأ الثبات في الأشياء وعدم تداخلها وفق مفهوم النقاد والبلاغيين القدماء وما ترتب عليه من تفضيل التشبيه على الاستعارة وكذلك بالنسبة للنص الروائي فقد سلك نفس المنهج لكن المفهوم هذا والتفريق بين التشبيه والاستعارة أدى إلى تكريس فكرة ثبات الأشياء وعدم تداخلها على مستوى الإبداع والتلقي، وهذا عيب يكاد يكون عاما في دراسات القدماء وهو أن الحرص على التشابه الخارجي في بعض صفات الصورة لم يكن يواكبه إحساس بنفس الدرجة من الحرص على دلالتها النفسية، وهي الأهم في مضمون الصورة بوجه عام.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 93.

<sup>2</sup> عبد الله محمد حسن: الصورة والبناء الشعري، دار المعرفة، مصر، ص 148.

## الخصل الأول: الصورة الروائية وبعض المصطلحات

فالتشبيه في الأصل عبارة عن عقد مقارنات بين أشياء يحكمها مبدأ تمايز وليس التمازج وهذا بطبيعة الحال يختلف عن الاستعارة، ففي الاستعارة لسنا أمام طرفين ثابتين متمايزين وإنما أمام طرفين يتفاعل كل منهما مع الآخر ويعدل منه حيث أن كل طرف من طرفي الاستعارة يفقد شيئاً من معناه الأصلي ويكتسب معنى جديداً نتيجة لتفاعله مع الطرف الآخر والكاتب أو الأديب عادة يوظف الأساليب البلاغية في النص الأدبي للوصول بالمتلقي إلى مرحلة من الاندماج مع عناصر تكوين النص أو الصورة في تداخلاته المختلفة، وليس معنى ذلك رفض أساليب التشبيه في الخطاب البلاغي، وإنما توظيف أساليب بلاغية أخرى، من دون وضع قيود أمام الأديب تحد من تطوير أساليبه الخطابية والبلاغية، والارتقاء بها من مستوياتها الأولى البسيطة إلى مستويات أكثر تداخلاً، "فإنني أظن أن بإمكاننا أن نستنتج بأن إحدى الطرق التي تؤدي إلى المعنى في فن من الفنون الأدبية سواء النثرية منها أو الشعرية هي علاقة معينة بين الصورة أو ما يمكننا تسميته بتزاوج الصورة، وإن كان هذا التزاوج قد يتضمن أكثر من صورتين"<sup>1</sup>

وبقدر هذا التمازج في تركيب الصورة المفردة وعلاقتها بالصورة الكلية في داخل النص الأدبي يتطور أسلوب الخطاب في النص من مجرد خطاب يعتمد لغة محددة في قوالب ثابتة إلى تفاعل متماهي يرتقي بالصورة المفردة من خلال علاقتها مع الصورة الأخرى إلى تركيب فني متكامل يعطي الخطاب البلاغي مفهوماً أعمق "فالصورة الحية هي التي تحوي قدراً من التقرد الذاتي وآخر من الشمول الكلي، وألا يكون فيها نتيجة لذلك، أي نوع من التفكك وإنما اتحاد وتجاوب بين الكل والجزء أو العام والخاص تماماً كالإنسان في داخل مجتمعه"<sup>2</sup>، وهذا التداخل في تركيب الصورة والتماهي في تكوينها يدفع بالخطاب البلاغي سواء في الشعر أو الرواية نحو اتجاه تطوير النص فنياً، فالراوي مثلاً لا يكتفي بمجرد عرض الصورة أو وضع خطواتها العامة في قالب من التشكيلات الفنية المعروفة وإنما ينتقل

<sup>1</sup> مكبلشأرشييالد: الشعر والتجربة، تر سلمي الخضر الجبويسي، مراجعة توفيق صايغ، ط دار اليقظة العربية، بيروت، ص 77 بتصرف.

<sup>2</sup> الرباعي عبد القادر: الصورة الفنية في شعر أبي تمام، نشر بدعم جامعة اليرموك إربد، الأردن، ط1، 1980، ص 145.

## الخصل الأول: الصورة الروائية وبعض المصطلحات

بها إلى مرحلة أكثر عمقا تكون فيها الصورة بتداخلاتها وسيلة خطاب جديدة تنتقل بالمتلقي من مجرد الإعجاب بالصورة إلى الانفعال بها. والاندماج فيها

"إنني أعتبر أن من الظلم تطبيق مقاييس واحدة على المراحل المختلفة التي تمر بها التجربة إذ اللغة مثلا تعجز أن تصل إلى مستوى الاستعارة والرمز والأسطورة في المراحل الأولى التي تمثل تجربة شاعر أو كاتب أو قصاص فمراعاة مستويات الخطاب البلاغي شيء ضروري وأساسي"<sup>1</sup> ويمكن تحديد مستويات الخطاب البلاغي وفق تطورها في النص الأدبي ومراحل إنتاج الأديب إلى ثلاثة مستويات:

**المستوى الأول: الصورة المفردة**

**المستوى الثاني: الصورة المتداخلة (المركبة)**

**المستوى الثالث: الرمز والأسطورة**

**المستوى الأول:** تتوارد فيه الصورة المفردة في تشكيلاتها التقليدية المحددة (تشبيه، استعارة، مجاز، كناية) وتشكل وسيلة خطاب أولى في النص الأدبي وهي مرحلة يقف فيها المبدع عند إثارة إعجاب المتلقي وذلك من حيث عقد مقارنات بين صورة قريبة أو متباعدة والخروج باللغة من مستواها المعجمي الثابت إلى مستويات فنية جديدة

**المستوى الثاني:** من مستويات الخطاب البلاغي فيتمثل في تداخلات الصورة وتركيبها بمعنى أن الصورة البلاغية المستقلة لا تشكل وحدة خطاب قائمة بذاتها وإنما تتداخل مع غيرها من الصور بشكل يجعل عملية الإرسال أوسع وأشمل وبالتالي تضع المتلقي أمام احتمالات مختلفة من التأمل والتفكير والوعي بأبعاد الفكرة التي يخاطب بها الكاتب خياله

**المستوى الثالث:** يتجاوز الخطاب البلاغي الصورة المفردة والمركبة ليصل إلى مستوى الرمز والكاتب هنا لا يعتمد على تشكيلات بلاغية معروفة وإنما يرتقي بها إلى أسلوب جديد يفاجئ

<sup>1</sup>الطرابلسي أحمد: تحليل الخطاب الشعري، ص80.

## الذئبل الأول: الصورة الروائية وبعض المصطلحات

القارئ وربما الكاتب نفسه، وهذا المستوى يحتاج إلى خصوصية متميزة لأنه يقوم على إدراك واع لثقافات الشعوب وتاريخها القديم ورصد ذلك البناء في فن جديد يربط بين الماضي والحاضر.

### 3- دينامية التخيل:

إن أي عمل فني هو نتاج خيال خلاق لكن هذا الخيال يختلف من فنان إلى آخر ومن نوعي أدبي إلى آخر ففي حين تغلب السمة الذاتية الميتافيزيقية على خيال الشاعر يكون الخيال لدى الكاتب الروائي أضرب إلى الواقع ويرجع ذلك إلى أن المادة الروائية تتجذر في الواقع والحياة الإنسانية، ولعل هذه السمة في صوغ النص الروائي هي التي دفعت غراهام ليقول: " أي نقد للرواية يهمل روابطها بالواقع التاريخي هو نقد يزيغ القيم الحقيقية للرواية"<sup>1</sup>، وقد جاء هذا الموقف تعبيراً عن رؤيته للرواية كفن أدبي، هذه الرواية التي " تدين بقسط كبير من الولاء للتقرير الاجتماعي والتاريخ الاجتماعي بسبب تخصصها في الزمان والمكان.

فالرواية ليست مضطرة فقط لأن تكون تمثيلاً صادقاً للطبيعة العامة بل ولوقائع وظروف معيشة أيضاً لكن رغم اتكاء الكاتب الروائي كثيراً على الواقع الذي يعيشه أو يعرفه في استقاء مادته الروائية فهو لا ينقل أحداثه وشخصه كما هي وبصورها بحذافيرها بل إنه يسعى من خلال عمله إلى صياغة الواقع صياغة جديدة وبصور مختلفة، فالصورة الروائية أو العمل الروائي ككل مرتبط بشكل كبير بحياة الكاتب وتجربته العملية، فقوامهما التي يحتويها النص الروائي عبارة عن مجموعة من التفاصيل الحياتية التي تظهر داخل النص على صورة أحداث وأفعال وأفكار يتبناها التخيل الذي يوظفه الكاتب من خلال الشخصيات أو المكان والزمان، فآلية تركيب المادة الروائية في وحدة حية هي عملية تنطلق من الخيال أو المخيلة فالنص الذي هو وحدة حية هو أيضاً تحقق مادي للتخييل.

<sup>1</sup> غراهام هو: مقالة في النقد، تر: محي الدين صبحي، المجلس الأعلى برعاية الفنون الآداب، ط1، دمشق، ص143.

## الذيل الأول: الصورة الروائية وبعض المصطلحات

ولعل أهم ما يميز الكتابة الروائية ظاهرة البعثة لما هو خفي وأفي في الواقع وخلطة منطق الثبات والسكون الذي يحكم أحداث الواقع المنجزة وذلك من خلال ما يقوم به الكاتب من موضعه لهذه الأحداث في أزمنة وأمكنة مفارقة فهته الأمكنة والأزمنة تمثل الفضاء الذي يخلقه النص وهو بدوره يشير إلى تلك الصورة الكلية والجزئية التي يركبها الكاتب فهو صاحب الاختيار في ترتيب مادته الروائية وعرضها.

لكنه كمبدع روائي فإنه لا يعرض الصورة الروائية ولا الأحداث التي تبنى عليها الرواية من البداية إلى النهاية كما جرت في الواقع كما يفعل المؤرخ، وإنما يقوم بعملية اختراق لكثلة الأحداث المعروضة ونقطة الاختراق هذه تحددها مخيلة الكاتب وكيفية تصويره للأحداث ونقلها بشكل غير مباشر لمخيلة المتلقي الذي بدوره يقوم بعملية التخيل داخل عقله وذلك من خلال النسيج الذي ركبه الكاتب في نصه، إذا هناك علاقة بين المادة الروائية وبين ما يحتويه الواقع من أحداث وشخوص وأفكار وقد دفعت هاته العلاقة النقد في كشف النص بالتجربة الحياتية المبدعة وإلى كشف موقف الكاتب من الواقع ولكن بطريقة الخيال والتخييل ويستطيع القارئ ملاحظة هذا الخيال الذي رسمه الراوي والتخييل الذي مر به هو حول علاقة العالمين الروائي والواقعي، فالتخييل لا يأتي من فراغ هو علاقة مزج وربط ما هو واقع وما هو مكتوب لذا كان "بعض النقاد يرفض الإقرار بالعلاقة بين الرواية والواقع أو يعدها عاملاً كابحاً للإبداع الروائي وعيباً يسم الكتابة العربية الروائية"<sup>1</sup>

ومن بين النقاد نجد سمر روجي الفيصل يقول: "لقد نظرت الرواية على أنها عمل فني تخيلي وحرصت على أن لا يكون هناك تداخل بين الواقع الفني والواقع الروائي"<sup>2</sup> ومن كل هذا يستطيع القارئ استنتاج تلك العلاقة التي تربط الواقع بالخيال الروائي في أغلب الروايات العربية قديمها وحديثها منذ رواية "حديث عيسى بن هشام" التي يقتطف محمد كامل

<sup>1</sup> محي الدين صبحي: دراسات ضد الواقعية في الأدب العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1980، ص6 - 9.

<sup>2</sup> سمر روجي فيصل: بناء الرواية السورية، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 1995م، ص7.

## الخصل الأول: الصورة الروائية وبعض المصطلحات

الخطيب بعضا مما جاء في مقدمتها: "وبعد فهذا الحديث -حديث عيسى بن هشام- وإن كان موضوعا على نسق التخيل والتصوير فهو حقيقة متبرجة في ثوب خيال إلا أنه خيال مسبوك في قالب حقيقة حاولنا أن نشرح به لأخلاق أهل العصر وأطوارهم وأن نصف ما عليه الناس"<sup>1</sup> فالخيال في نظره واقع والواقع خيال ثوبان إثنان في كتلة واحدة ألا وهي المادة الروائية أو النص الروائي.

فالرواية عملية خلق لواقع تخيلي يدفع بالكاتب بنهم ذلك الجزء من حياته ويرسمه بخياله ليبدع فيه فلو كانت مادته الروائية خالية من مادة التخيل حينها يحال أدبه إلى فن السيرة الذاتية، فالواقع التخيلي الذي نراه في النص الروائي والصورة المكونة داخل الرواية هو في الحقيقة ليس واقعا خياليا فيزيقيا بل هو واقع يتكون من عناصر وتركيبات ليست موجودة ماديا وواقعا، وإنما يتم بتقديمها من خلال بنية ونسق يجعلانها محتملة الوجود واحتمال وجودها هو المظهر الذي يدفع بالنقاد إلى الحديث عن علاقة الرواية بالواقع خارجيا أو كيف يستمد الكاتب من خياله ليخيل إلينا هاته الصور التي يريد إيصالها من خلال الأحداث في الرواية وفي هذا الصدد يقول محي الدين حول نظرتة للرواية على أنها: "بناء شكلي جمالي يحمل مغزاه في ذاته دون إحالة شديدة إلى العالم الخارجي لكن لا بد من الرجوع دائما إلى العالم الخارجي وهذه المفارقة الثانية في فن الرواية"<sup>2</sup>

في حين أن ما يتضمنه النص الروائي من نقل للأحداث وللأقوال والأفكار يوحي لمدى تخيل الكاتب وبراعته في نسيج متراكب، فالرواية فن يصور الحياة وفق انزياح ما، تحده نظرة الكاتب ورؤيته للحياة وذلك وفق استعمال خياله، لذا هو يقوم باختيار بعض العناصر والأحداث والشخص وبيصور ذلك كله ليأتي منسجما مع رؤيته وغايته باستعمال عناصر التصوير والإيحاء والإيماء التي بدورها تساعده على بلوغ الوصف وإيصال الفكرة بشكل أوضح، "فالتصوير الأدبي يعد ببساطة ارتقاء الخيال وتلوينه بألوان أسلوبية تتحصر

<sup>1</sup> محمد كامل الخطيب: تكوين الرواية العربية، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1990، ص73.

<sup>2</sup> محي الدين صبحي: البطل في مآزق، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1979، ص53.

## المُضِلُّ الأوَّل: الصوْرة الروائية وبمضى المصطلحات

في الاستعارة والتشبيه والكناية والمجاز المرسل فالتكوين اللفظي يتضمن معنى خيالياً يكسب الأسلوب الأدبي تلوينا جميلاً يجعل المجاز حينئذٍ أبلغ من الحقيقة بمعنى أن العبارة ذات المجاز أفضل من العبارة نفسها إذا التزمت طريقة الحقيقة<sup>1</sup> فالعمل الفني كالرواية هو موضوع مركب تدخل فيه عناصر حسية كما تدخل فيه عناصر خيالية وفكرية وهو لغة وهو تصميم وقد يغلب على فن التصوير مثلاً القيم الحسية والشكلية.

لقد ارتبطت مفاهيم الصورة بمفهوم الخيال من حيث أنه ملكة إبداعية بواسطتها يستطيع المبدع من خلالها تأليف صور اعتماداً على ما يجترئه داخل ذهنه من إحساسات متعددة الروافد (...) لذا أصبح الخيال المدخل المنطقي لدراسة الصور<sup>2</sup>،

"ولا تشير الصورة في علاقتها بالخيال إلى مجرد عملية الرصد للواقع، أو محاولة صناعة نسخة مطابقة للأشياء المرئية"<sup>3</sup>

إن الصورة على هذا النحو من التمازج والتداخل مع الخيال تتكون من جانبين أساسيين جانب حاضر يرد من خلال التعبير اللغوي وتشكيل الصورة داخل العمل الأدبي، وجانب آخر هو الجانب الغائب الذي يحيلنا إليه العمل الأدبي الذي بين أيدينا وفي ظل هذا الترابط يقوم التصوير ويتشكل بوصفه عملية ضبط للوجود الظاهر والوجود الباطن وجعل هذه العوالم تدرك بالحس والحدس والعقل والرؤية، "وهذا التناسب والتداخل بين الظاهر والخفي والحاضر والغائب يتحدد من خلال عنصرين آخرين هما الحافز والقيمة، لأن كل صورة فنية تنشأ بدافع وتؤدي إلى قيمة"<sup>4</sup> ولا خلاف أن الحافز والقيمة يرتبطان أيضاً بالعلاقة بين النص والقارئ، فإذا كانت علاقة الظاهر والخفي تتعدد وفق علاقة الظاهر بما يرد في

<sup>1</sup> سعبان عبد الباري: التذوق الأدبي (طبيعته، نظرياته، مقوماته، معايير، قياسه)، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان، الأردن، ط3، 2010، ص166.

<sup>2</sup> بشرى محمد صالح: الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي بيروت، لبنان، ط1، 1994، ص19.

<sup>3</sup> علي البطل: الصورة في الشعر العربي، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1938، ص25.

<sup>4</sup> ساسين سيمون عساف: الصورة ونماذجها في إبداع أبي نواس، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1982، ص20.

## الذيل الأول: الصورة الروائية وبعض المصطلحات

النص، "وتؤول عملية إحصار الغائب خلال المتلقي أو القارئ والسماع، فوفق هذه العلاقة تتحدد قيمة الصورة وكيفية عملها ووظيفتها وأهميتها داخل النص فالقارئ يحمل على عاتقه فهم الصور وتحديد وظائفها ومعانيها وماتشير إليه"<sup>1</sup>

### المبحث الثالث : دلالات الصورة الروائية

#### 1- اللغة:

اللغة أداة تعبيرية توظف في كل مجال من مجالات الحياة الإنسانية وفي مجال الأدب فإن هذه الأداة يختلف توظيفها فنيا باختلاف الأنواع الأدبية المتعارف عليها نقديا لذا ينبغي أن نشير هنا منذ البداية أن اللغة من حيث كونها مفردات وتعابير، فالبحت في اللغة وفي طبيعتها وفي بنيتها وفي وظيفتها في الحقيقة هو بحث في الإنسان لأنها تشكل البعد الأنطولوجي له فهي التي تحدد هويته وتجلب إلى حالة الحضور بل هي مشيئته في اصطياح العالم<sup>2</sup>، لذا ينبغي أن نشير هنا منذ البداية إلى أن اللغة من حيث كونها مفردات وتعابير وجمل هي أداة فن الأدب بكل أنواعه مثلما أن لكل فن من الفنون الجميلة الأخرى أدواته.

ولأن الرواية نوع أدبي فإن اللغة تعد من عناصرها الأساسية لأنها العنصر الذي يظهر ويتشكل من خلاله جميع العناصر الأخرى التي يتكون منها العمل الروائي، فالرواية صياغة بنائية مميزة، لذا لا يكون البناء الروائي مميزا في نوعه ولا يؤدي الوظيفة الفنية المرجوة منه إلا من خلال تآلف جميع عناصره من حكاية وأحداث وشخصيات وزمان ومكان وموضوع ومغزى، إلا أن هذه العناصر لا وجود مادي لها إلا من خلال اللغة وعليه فاللغة هي القالب الذي يصب فيه الروائي أفكاره ويجسد رؤيته في صورة مادية وحسية وينقل من خلالها رؤيته للناس والأشياء من حوله، فمثلا اللغة المستعملة في الريف تختلف عن المدينة أو عن لغة

<sup>1</sup> عبد القادر الرباعي: الصورة الفنية في شعر أبي تمام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، 1999، ص21.

<sup>2</sup> ينظر : مارتن هايدغر: اللغة أخطر النعم ضمن كتاب اللغة، تر: محمد سبيلا عبد السلام، دار تويقال، المغرب، ط1، 1994، ص16.

## الخصل الأول: الصورة الروائية وبعض المصطلحات

اليونان عن الرومان كذلك بالنسبة للأحياء الشعبية مقارنة بالأحياء الفنية الارستقراطية، "فباللغة تنطق الشخصيات وتكشف الأحداث وتتضح البيئة ويتعرف القارئ على طبيعة التجربة التي يعبر عنها الكاتب"<sup>1</sup> ولا يتحقق ذلك كله إلا من خلال توظيف بعض مستويات اللغة التي تتضمنها الرواية ونلخصها فيما يلي:

### أ. السرد:

"إن النص الروائي في جملته ينقسم إلى مقاطع وصفية ومقاطع سردية وأيضا إلى حوار، إنما الثنائية الأساسية بين السرد والوصف، وتتناول المقاطع السردية الأحداث وسريان الزمان، أما المقاطع الوصفية فتتناول تمثيل الأشياء الساكنة،<sup>2</sup> غير أن هناك من النقاد من ركز في حديثه عن العلاقة بين السرد والحوار أكثر مما ركز على العلاقة بين السرد والوصف فقال: "أما القصة فإنها تزوج بين أسلوبين مختلفين من حيث التركيب أو الأداء أو طريقة التعبير - هما السرد والحوار - وهناك من النقاد أيضا من تحدث عن علاقة السرد بإحدى عناصر القصة أو الرواية فقال: إن السرد هو نقل الحادثة من صورتها الواقعية إلى صورة لغوية"<sup>3</sup>.

فالسرد يعد أحد طرق تقديم الأحداث والموضوعات والشخصيات في الأعمال الروائية والقصصية جميعا، ومن صعوبات السرد أن له أنواعا كثيرة تبدأ من السرد المباشر ثم تتدرج مع كل من الوصف والحوار إلى الوصف الواسع أو الوصف التفصيلي، فيلجأ الكاتب في السرد المباشر إلى ضمير الغائب لتكون له الحرية في التعليق على الأحداث كما يريد فيكون بذلك أقرب إلى المؤرخ الذي يؤرخ التاريخ للبشر ولكن الروائي يختلف عن المؤرخ من خلال إيهام المتلقي بواقعية عالم خيالي يحلم به وذلك من خلال رسمه لصور فنية وأخرى واقعية

<sup>1</sup> ثريا العسيلي: أدب عبد الرحمان شرقاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1995، ص 287.

<sup>2</sup> سيزا أحمد قاسم: بناء الرواية (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ): الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 1984، ص 82.

<sup>3</sup> عز الدين إسماعيل: الأدب وفنونه (دراسة ونقد)، دار الفكر العربي، القاهرة، ط6، 1976، ص 187.

## الذيل الأول: الصورة الروائية وبعض المصطلحات

في ذهن المتلقي ليتفاعل معها ويكون جزءا من أحداثها وشخصياتها. ولعل تنوع طرق السرد وعمق علاقته بالوصف والحوار وبغير ذلك من عناصر الأداء الروائي هو الذي جعل بعض النقاد يسمي النوع الروائي كله بالسرد<sup>1</sup>...<sup>1</sup>. فالسرد إذن هو إحدى أدوات الكاتب الروائي والقصاص الفنان في تقديم رؤيته عن الحياة التي يطمح أن يراها ويرى الناس فيها.

### ب- الوصف:

إن وظيفة الوصف في الرواية تعد الأساس في بناء الرواية من حيث خدمة أحداثها ويؤكد هذا المعنى رأي آخر يبين لنا الوظيفة التي يقوم بها الوصف في الرواية فهو: يستخدم ليقوم بدوره في تحديد إطار الحدث وتصوير الشكل الفيزيقي للأبطال والشخصيات الرئيسية وخلق عالم يؤكد -بفضل تشابهه مع عالم الواقع- أنه لا يفعل سوى تصوير هذا الواقع ونقله وإيضاح بعض الأفكار التي يرى الكاتب أن لها أهمية...<sup>2</sup>

وبالإضافة إلى ما يؤديه الوصف في سبيل تحديد إطار للحدث فإنه يوظف من أجل رصد مظاهر الحياة التي تصفها الرواية من أماكن وأشياء وأحياء ومناظر الطبيعة المختلفة، ومظاهر الشخصيات الفردية وبيئتها الاجتماعية سواء كانت في الريف أو المدينة ولا يتحقق ذلك إلا من خلال الوصف سواء كان مباشرا أو تصويرا فنيا مبالغا فيه، ولعل أهم ملمح للوصف في الرواية هو بطيء الحركة ليتفاعل المتلقي على كل ما تقع عيناه عليه فهو يتعلق بعرض الأمكنة والمظاهر الخارجية فهو "أسلوب إنشائي يتناول ذكر الأشياء في مظهرها الحسي ويقدمها للعين فيمكن القول أنه لون من التصوير، ولكن التصوير بمفهومه الضيق الذي يخاطب العين أي النظر ويمثل الأشكال والألوان والظلال".<sup>3</sup>

ولكن السؤال المطروح هل يمكن للوصف بكل قدراته أن يبلغ مدى أكثر عمقا من تصوير الشخصيات أو المكان إلى الجزئيات والمعنويات الداخلية، لذا فإن تتبع تفاصيل

<sup>1</sup>الآداب الأجنبية: يصدرها اتحاد كتاب العرب (مجلة فصلية) ، دمشق، ع3، ديسمبر 1977م، ص151-173.

<sup>2</sup>ثرثيا العسلي: أدب عبد الرحمان الشرقاوي، ص360.

<sup>3</sup>سيزا أحمد قاسم: بناء الرواية، ص79.

## الذيل الأول: الصورة الروائية وبعض المصطلحات

دقيقة من أي نوع يحتاج إلى صفحات طوال وهو أمر لا يمكن أن يؤدي الغرض الذي من أجله يستعين الكاتب بالوصف، ولذلك فإن الوصف عنده يخضع لعملية اختيار، والاختيار تتبع من فكرة أساسية تسيطر على الكاتب ويحاول إثباتها أو نفيها...<sup>1</sup> لذا فهو لا يصف كل شيء وإنما يختار من الأوصاف ما يدعم هدفه ويؤيد فكرته...<sup>2</sup>

### ج- الحوار:

يعد الحوار من الوسائل اللغوية والتقنية في الوقت نفسه التي يستخدمها الأديب عند إنجاز النص الروائي، والأدبي وتعد الرواية والمسرحية من أكبر الفنون الأدبية استعمالاً للحوار في خضم الأحداث التي تدور في النص الروائي، ومن أهم ما قيل في وصف الحوار الفني أنه "تقطير لا تقرير...<sup>3</sup> وهذا معناه أن الحوار الفني هو الذي يوحى بالحقيقة الكامنة وراء المظاهر ويصور الأشياء الموجودة داخل الفعل الروائي، وكذلك في خفايا الشخصيات المتحاورة فهو بذلك يعطينا صورة غير ظاهرة من خلال الوصف أو السرد بل يكشف لنا سرائر غابت عن الأعين وكشفها الحوار البسيط، ومن أهم خصائصه الكشف عن أعماق الشخصيات سواء كانت هذه الشخصيات روائية أو مسرحية، فمن خلال تحاورها ثنائياً أو فردياً من خلال الحوار الداخلي تتضح ملامح كل شخصية ويتعرف المتلقي على طبيعة الشخصيات في الأعمال الفنية وفي هذا المعنى بالذات أشار النقاد إلى أهم الوظائف التي يؤديها الحوار في النصوص الأدبية بشكل عام والتي تلخصت في خلق جو عام للنص وإعطاء المعلومات بالإضافة إلى تطوير النص والكشف عن الشخصيات وكذلك الإيحاء بصدى الأحداث وكيفية تصور المتلقي لها".<sup>4</sup>

<sup>1</sup> حلمي بدير: الاتجاه الواقعي في الرواية المعربة في مصر، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1981، ص227.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص227.

<sup>3</sup> تشارلسمورجان: الكاتب وعالمه، تر: شكري عياد، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1964، ص 279.

<sup>4</sup> عبد الفتاح عثمان: بناء الرواية، مكتبة الشباب المنيرة، القاهرة، 1982م، ص 207.

## الذيل الأول: الصورة الروائية وبعض المصطلحات

وكل ذلك يتمحور حول كيفية استقبال المتلقي لهذا الحوار وكيفية رسم الصورة النهائية في ذهنية وتخيلها ويبقى أن نشير كذلك إلى أن هناك نوعين من الحوار حوار بين الشخصيات، وآخر داخلي أي نفسي وقد تكون لغة الحوار فصحي أو دارجة وهذا عائد لطبيعة الحوار وكذلك الراوي في حد ذاته وإلى ما يريد أن يوصله للمتلقي وما يحاول أن يثبته من خلال ذلك المشهد الحوارى بين الشخصيات سواء أكان كثيرا أم قليلا داخل الرواية ككل.

### 2- الشخصية:

الشخصية عنصر مهم من عناصر بناء الرواية الحديثة، لأنها تصور الواقع من خلال حركتها مع غيرها، ومن خلال نموها التدريجي، إذ تقدم حياة الناس بحيوية وفاعلية، لذلك فإن هذه الشخصية لا بد أن تكون قادرة على الصمود أمام حركة الزمن المستمرة، فجوهر العمل الروائي يقوم على خلق الشخصية المتخيلة<sup>1</sup>، لأن الشخصية الروائية لا يمكن فصلها عن العالم الخيالي، حتى أن بعض الكتاب عمدوا على كتابة روايات تستند إلى الشخصية أكثر من غيرها من عناصر بناء الرواية حيث كان يدفع شخصياته إلى الحركة الدائمة أكثر من دفعها إلى صنع الأحداث، وهو في أغلب هذا يبقيا مقنعة<sup>2</sup>

إلا أن التصور التقليدي للشخصية كان يعتمد على رسم الملامح العامة والصفات الشخصية، مما جعله يخلط بين الشخصية الحكائية والشخصية في الواقع العياني الأمر الذي دفع الناقد الفرنسي (ميشال زرافا) "إلى التمييز بين الاثنين، فجعل الشخصية الحكائية مجرد علامة فقط على الشخصية الحقيقية"<sup>3</sup>

فمفهوم الشخصية الروائية، يختلف باختلاف الاتجاه الروائي الذي يتناول الحديث عنها، فهي لدى الواقعيين التقليديين شخصية حقيقية لأنها تنطلق من إيمانهم العميق بضرورة

<sup>1</sup> ينظر: دياز فاير: فن كتابة الرواية، تر: عبد الستار جواد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1987، ص45.

<sup>2</sup> أدوين موير: بناء الرواية، تر: ابراهيم الصيرفي، الدار المصرية للتأليف والنشر القاهرة، 1965 م، ص 82.

<sup>3</sup> رولان بارت: مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص، تر: منذر عياش، 1993، م، ص 72.

## الخصل الأول: الصورة الروائية وبعض المصطلحات

محاكاة الواقع الإنساني المحيط بكل ما فيه، محاكاة تقوم على المطابقة بين ثنائية السرد/الحكاية، وفي حين كان ينظر إليها اتجاه آخر على أنها علامة فقط على الشخصية الواقعية، غير أن الأمر يختلف بالقياس إلى الرواية الجديدة التي تنظر إلى الشخصية على أنها كائن من ورق، ذلك لأنها شخصية تمتزج في وصفها بالخيال الفني الروائي وبمخزونه الثقافي الذي يسمح له أن يضيف ويحذف في تكوينها وتصويرها بشكل لا يمكن معه أن تعتبر هذه الشخصية مرآة أو صورة لشخصية معينة في الواقع الإنساني، فالروائي يهتم دائماً بعنصر الشخصية بوصفها اللبنة التي تتمحور حولها فكرة بناء العمل الفني بأكمله، فعلى الرغم من أهمية كل عنصر روائي ودوره المهم في عملية البناء الفني أصبحت تركيبية العناصر الأخرى بمثابة ظلال مكملة ومؤطرة للشخصية.

أما كيفية تقديم الشخصية على مسرح الأحداث في الرواية فهي تكون بأربعة طرائق:<sup>1</sup>

1-بوساطة نفسها.

2-بوساطة شخصية أخرى.

3-بوساطة راو يكون موضوعه خارج القصة.

4-بوساطة الشخصية نفسها والشخصيات الأخرى والراوي.

وهذه الطرق لمنح الكاتب مرونة في التعبير، وفي اختيار الطريقة المناسبة في التعامل مع الشخصيات ففي رواية (موسم الهجرة إلى الشمال) تستحوذ شخصيات، مصطفى (البطل) ومحجوب وود الريس وبنيت مجذوب وحسنة، بالإضافة إلى الراوي على مساحة كبيرة من الأحداث، وفي رواية (الرهينة) نجد المساحة التي تشغلها الشخصيات أقل مما كانت عليه في (موسم الهجرة إلى الشمال) حيث استحوذت شخصيات الرهينة والدويدار عبادي والشريفة حفصة على مساحة كبيرة من الأحداث أما بناء الشخصيات فإنه يكون عبر طريقتين:

<sup>1</sup>بورنوف/ أوئيلية:عالم الرواية، تر: نهاد التركي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد 1990، م، ص 158.

## الفصل الأول: الصورة الروائية وبعض المصطلحات

1- بناء الملامح الخارجية للشخصية: "وذلك حين يلجأ الكاتب إلى رسم شخصياته من الخارج فيشرح اسمها وعمرها ومهنتها وعلاقتها الاجتماعية"<sup>1</sup>، فضلا عن مظهرها الخارجي كالملابس والأسماء والتكوينات الظاهرية وهذه الطريقة لا تهتم بالجوانب الفكرية وما يدور داخل أعماق الشخصية، ففي موسم الهجرة إلى الشمال" يرسم الكاتب شخصية 'مصطفى' من الخارج لتهيئتها للمتلقي: دقت النظر في وجهه وهو مطرق، إنه رجل وسيم دون شك، جبهته عريضة رحبة، وحاجباه متباعدان، يقومان أهلة فوق عينيه ورأسه بشعره الغزير الأشيب متناسق تماما مع رقبته وكتفيه، أنفه حاد ومنخاره مليئتان بالشعر، ولما رفع وجهه أثناء الحديث، نظرت إلى فمه وعينيه فأحسست بالمزيج الغريب من القوة والضعف في وجه الرجل، كان فمه رخوا وكانت عيناه ناعستين، تجعلان وجهه أقرب إلى الجمال من الوسامة (...). ويتحدث بهدوء لكن صوته واضح قاطع، حين يسكن وجهه يقوى وحين يضحك يغلب الضعف على القوة، ونظرت إلى ذراعيه فكانتا قويتين، عروقتها نافرة، لكن أصابعه كانت طويلة رشيقة حين يصل النظر إليهما يعيد تأمل الذراع واليد، تحس بغتة كأنك انحدرت من الجبل إلى الوادي"<sup>2</sup>.

فهذا الرسم الدقيق للشخصية يعطي صورة واضحة ومتكاملة عن شكلها ومظهرها الخارجي، فبعض الروائيين تجده يقتصر على إجمال الصفات الشخصية من أجل إعطائها طابع العموم والاستمرارية فيما يتعلق بالرسم الخارجي.

ومن مشاهد بناء الشخصية الخارجي في رواية (الرهيئة) عناية الكاتب برسم شخصية (نائب الإمام): "كان متكئا بكرشه المنفوخ وبعينيه الجاحظتين وشفتيه المتدليتين كأن ورما خبيثا أصابهما... وقد مد رجليه القصيرتين، والتي عكف عليهما صاحبي يدلكنهما برفق بأنامله"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> محمد يوسف نجم: فن القصة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1959، ص 98.

<sup>2</sup> طيب صالح: موسم الهجرة إلى الشمال، دار العودة، بيروت، ط13، 1981م، ص 77، 78.

<sup>3</sup> زيد مطيع دماج: الرهيئة، دار الآداب، بيروت، ط1، 1984. : ص 27.

## الذئبل الأول: الصورة الروائية وبعض المصطلحات

وكذلك عندما كان يرسم شخصية (الشاعر الإمام): "كان له شكل مهيب، ذو سمرة مليحة وقوام ممتلئ برشاقة، وصوت جهور وضحكات مجلجلة عذبة مغرية"<sup>1</sup> فهذه التفاصيل في رسم الشخصية وعلى الرغم من أنها تصف الشكل الخارجي للشخصية إلا أنها تكشف بصورة أو بأخرى عن فلسفة الشخصية في الحياة وأفكارها.

### 2- بناء الملامح الداخلية:

"كثيرا ما يتيح الكاتب للشخصية أن تعبر عن نفسها وتكشف جوهرها وتصرفاتها الخاصة"<sup>2</sup> ففي رواية موسم الهجرة إلى الشمال يقوم (الراوي البطل) بالكشف عن أفكاره وما يدور في نفسه، عندما كان يبدي حيرته في شخصية مصطفى المبهمة: "هل أحدث أبي ..؟ هل أقول المحجوب..؟ لعل الرجل قتل أحدا في مكان ما وفر من السجن؟ لعله .. لكن أية أسرار في هذا البلد؟ لعله فقد ذاكرته؟"<sup>3</sup>

وهنا تبدو الشخصية وكأنها في حوار صامت مع ذاتها أو مع شخصية أخرى غير مرئية يكشف أمامها ما يدور في عقله وما تعتمل به نفسه، وكذلك عندما كان الراوي يكشف عن أفكاره وطموحاته المستقبلية "إنني أريد أن أخذ حقي من الحياة عنوة، أريد أن أعطي سخاء، أريد أن يفيض الحب من قلبي فينبع ويثمر، ثمرة ثمار يجب أن تقطف".<sup>4</sup>

هذا المونولوج للمسرح يكشف عن دوافع الشخصية وأفكارها، إذ يعرضها عرضا مباشرا دون تدخل أو وساطة.

وفي رواية (الرهينة) نجد مشاهد كثيرة من هذا النوع مثل حديث الراوي مع نفسه بشأن (الشريف حفصة): "كانت حواسي وكل وجداني ودقات قلبي الساذجة تدق بسرعة عند توقعي وصول الشريف حفصة وصعودها من إمامي إلى السيارة! هل أنظر إليها؟ هل

<sup>1</sup>المرجع السابق: ص 67.

<sup>2</sup>محمد يوسف نجم: فن القصة: دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1959، ص 8.

<sup>3</sup>الطيب صالح: موسم الهجرة إلى الشمال: ص 20.

<sup>4</sup>زيد مطيع دماج: الرهينة، ص 29.

## الفصل الأول: الصورة الروائية وبعض المصطلحات

أجمالها ببشاشة إذا ما تكرمت بالنظر إلي وابتسمت إذا قدر الله ؟ هل أقدم لها خدمة ذاتية إذا أتاحت لي الفرصة لعمل ذلك ؟<sup>1</sup>

فالراوي هنا يكشف ما يدور في ذهنه من خلال هذه العودة إلى الذات، فالكشف عن الأبعاد الداخلية للشخصية من شأنه أن يكمل، رسم اللوحة العامة للشخصية التي لم تكتمل ولم تتضح كلية في الرسم الخارج، وبهذا يصبح المتلقي على معرفة كلية بأي نوع من الشخصيات يتحرك أمامه.

---

<sup>1</sup>المرجع السابق: ص 84.

حظي المكان في الرواية باهتمام كثير من الدارسين، لأن المكان في النص الروائي يتجاوز كونه مجرد شيء صامت أو خلفية تقع عليها أحداث الرواية فهو عنصر غالب في الرواية، حاملاً لدلالة ويمثل محورا أساسيا من المحاور التي تدور حولها عناصر الرواية، لذا يرى البعض "أن العمل الأدبي حين يفتقد المكانية، فهو يفقد خصوصيته وبالتالي أصالته"<sup>1</sup>

وللمكان تأثيره خارج النص الروائي، إذ يلعب دور المفجر (طاقات المبدع)<sup>2</sup>

"ويعبر عن مقاصد المؤلف"<sup>3</sup>

والمكان الروائي بناء لغوي، يشيده خيال الروائي، والطابع اللفظي الذي يجعله يتضمن كل المشاعر والتصورات التي تستطيع اللغة التعبير عنها، وذلك أن "المكان في الرواية ليس هو المكان الطبيعي أو الموضوعي، وإنما هو مكان يخلقه المؤلف في النص الروائي عن طريق الكلمات ويجعل منه شيئاً خيالياً"<sup>4</sup> فالمكان في النص الروائي مكان متخيل وبناء لغوي تقيمه الكلمات انصياعا لأغراض التخيل وحاجته "فالمكان إذن نتائج مجموعة من الأساليب اللغوية المختلفة في النص"<sup>5</sup>

وللروائي سبل شتى في تشييد الفضاء أو المكان الروائي منها، الوصف، استخدام الصورة الفنية، توظيف الرموز، ولكل منها دوره الفعال في النص الروائي فالروائي حين يلجأ إلى الوصف، يبذل قصارى جهده للبرهنة على أن يجعلنا نرى الأشياء أكثر وضوحاً ذلك أن

<sup>1</sup> غاستون باشلار: جمالية المكان، تر: غالب هلسا، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط3، 1987م، ص 5-6.

<sup>2</sup> مصطفى الضبع: استراتيجية المكان، الهيئة العامة لقصور الثقافة، أكتوبر، القاهرة، 1998م، ص 70.

<sup>3</sup> حسين بحرأوي: بنية الشكل الروائي: الفضاء الزمن الشخصية، المركز الثقافي، العربي، الدار البيضاء، ط1، ص 90.

<sup>4</sup> بدري عثمان: بناء الشخصية الرئيسية في رواية نجيب محفوظ، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1986م، ص 94.

<sup>5</sup> مصطفى الضبع: استراتيجية المكان، ص 151.

## الخصل الأول: الصورة الروائية وبعض المصطلحات

الوصف هو "ذكر الشيء وبما فيه من الأحوال والهيئات"<sup>1</sup> أي ذكر الأشياء في مظهرها الحسي الموجودة عليه في العالم الخارجي فالوصف يقدم الأشياء للعين في صورة أمينة تحرص على نقل المنظور الخارجي أدق نقل<sup>2</sup>

كما أن وصف المكان لا يقتصر على إسقاط الصفات عليه أو على بعض متعلقاته بشكل مباشر والتي بواسطتها يرصد الروائي خلفيات المكان، إذ قد يستخدم الروائي وصفا غير مباشر من خلال توظيف الصورة الفنية التي هي "نتاج لفاعلية الخيال، وفاعلية الخيال لا تعني نقل العالم أو نسخه، وإنما تعني إعادة تشكيل، واكتشاف العلاقات الكامنة بين الظواهر، والجمع بين العناصر المتضادة والمتباعدة في وحدة"<sup>3</sup> لأن الصورة الفنية تتعدى حدود الرؤية للمكان بعناصره الفيزيائية، إلى المشاركة الوجدانية وهو ما يؤكد لنا أن " الصورة الفنية لا تثير في ذهن المتلقي صورة بصرية فحسب، بل تثير صورة لها صلة بكل الإحساسات الممكنة التي يتكون منها الإدراك الإنساني ذاته"<sup>4</sup>

من ثم يتسنى لنا القول بأن التصوير اللغوي إحياء لا نهائي يتجاوز الصورة المرئية لكونه صورة فنية " تمتاز بأنها ثمرة انتقاء وتهذيب للمادة المحسوسة، المستمدة من الطبيعة، أو من الحياة الإنسانية، وغاية هذا الانتقاء هو إثارة التأثير أو الانفعال الجمالي"<sup>5</sup>

ووظيفة الكلمات في المحيط الخارجي لا تعدو أن تكون مجرد إشاعات لأشياء بعينها، بيد أن وجودها داخل النص الروائي يعطيها بعدا دلاليا أعمق، إذ تخرج هذه الكلمات من مجرد كونها إشارات وإلى كونها رموزا ذات كثافة دلالية، وهي بذلك تنتقل من معناها الدلالي إلى مستوى أعلى في الدلالة فكلمات مثل القمر، الأفعى، الأرض، الماء، النار، في

<sup>1</sup>قدامة بن جعفر: نقد الشعر، المطبعة المليجية، القاهرة، 1935م، ص 70.

<sup>2</sup>ينظر: سيزا قاسم دراز: بناء الرواية: دراسة مقارنة ثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1984م، ص 80.

<sup>3</sup>جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغيدي المعارف، القاهرة، 1973م، ص 340.

<sup>4</sup>جابر عصفور، المرجع نفسه، ص 341.

<sup>5</sup>أميرة حلمي مطر، مقدمة في علم الجمال، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1976م، ص 37.

## الخصل الأول: الصورة الروائية وبعض المصطلحات

حال توظيفها داخل النص الروائي واستنادا إلى ما ذكرناه سابقا، ومن خلال ربطها بدلالات في أصولها المرجعية الأسطورية والدينية والشعبية والتاريخية تكتسب دلالات مزدوجة مثل، البداية والنهاية، الحياة والموت، وهي دلالات مغايرة للدلالات المباشرة لهذه الكلمات.

وكلمة صحراء -مثلا- تشير في دلالتها المباشرة إلى مكان بعينه، إلا أنها في سياق النص الروائي قد تحمل دلالة رمزية هي الحرية، ذلك أن الصحراء لا تخضع لسلطة أحد ولا يملكها أحد، وتكون الدولة وحاكمها بعيدة بحيث لا تستطيع أن تمارس قهرها، ولذلك تصبح أسطورة نائية<sup>1</sup>

"وإذا ما تصورنا كلمة صحراء بما تشير إليه من مكان بعينه خال من العوائق والحواجز، وجدنا أنها تؤكد التحرر باعتباره " المعنى الأعلى لكل وجود إنساني"<sup>2</sup>

واستنادا لما سبق يمكن أن ترمز الشمس إلى الحياة، والقوة والخير، وكل ما هو طيب<sup>3</sup> كما أنها قد ترمز إلى التسامي والعقل والإيمان.<sup>4</sup>

وإذا كنا قد سقنا بعض الأمثلة لما يمكن أن ينبثق من دلالات المكان، أو بعض متعلقاته، فإنه يجدر بنا التأكيد على تحديد شكل المكان أو بعض متعلقاته من رواياه المختلفة له دلالاته.

فإذا أخذنا اللون كمثال لهذه الزوايا، وجدنا أن توظيف اللون في حد ذاته يمدنا بصورة مرئية للمكان، أو أحد معتقداته، كما أن تحديد الألوان أو التركيز على لون بعينه له ثقله في الدلالة استنادا إلى أن هناك ألوانا أساسية وأخرى ثانوية، فإذا ما وصف الروائي مكانا ما -

<sup>1</sup> يوري لوتمان: مشكلة المكان الفني: تر، سيزا قاسم "ألف" مجلة البلاغة المقارنة، القاهرة، الجامعة الأمريكية، ع، 6 ربيع، 1986م، ص 82.

<sup>2</sup> عبد الرحمان بدوي: الزمان، الوجودي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط2، 1955م، ص 39.

<sup>3</sup> ينظر: أدولف إرمان: ديانة مصر القديمة، تر، عبد المنعم أبو بكر ومحمد أنور شكري، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987م، ص 127.

<sup>4</sup> ينظر: تسعديتايتحمودي: أثر الرمزية الغربية في مسرح توفيق الحكيم، دار الحدائق للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1986م، ص 226.

## الخصل الأول: الصورة الروائية وبعض المصطلحات

وليكن البحر مثلا- مضيئا على مياهه اللونين الأخضر والأزرق، وجدنا أن اللونين يعطيان تفسيراً طبيعياً للمكان من حيث أبعاده المسافية " فاللون الأخضر يرتبط على نحو خاص بالمياه القريبة من الشاطئ أو المياه الضحلة... أما اللون الأزرق فيرتبط بالمياه العميقة"<sup>1</sup>

"ذلك أن اللون الأزرق يعد من الألوان الأساسية الأولية التي لا تقبل الانقسام، فهو لا يتولد من لون آخر" والعكس صحيح، فضلا عما ينطوي عليه هذا اللون من دلالات القوة لاقتترانه بعظمة الملوك، "في حين أن اللون الأخضر تنطوي عليه دلالات الحياة والخلود،... ما يوحي أن الألوان "ذات قيمة سيكولوجية واجتماعية لا يمكن إنكارها"

فإذا ما صورنا أن الروائي في وصفه لمكان ما -وليكن السماء مثلا- مركزا على تخليق طيور ذات لون أبيض، لوجدنا أنه بالإضافة إلى ما تمدنا به حركة الطيران من تصور للبعد المسافي للمكان اتساعا وارتفاعا، فإن اللون الأبيض يرمز إلى الصفاء والنقاء والارتقاء، فضلا عن وجود الطير في السماء، قد يعد رمزا للسمو الروحي والفضيلة الأخلاقية والظهر الملائكي.<sup>2</sup>

وفي النهاية يعد الجانب الجمالي للمكان درجة من الجودة تحسب للروائي لقدرته على اختزان أمكنه مغايرة لم يعهد لها المتلقي أو تقديم المكان الذي يعيشه المتلقي في صورة فنية مختلفة.

<sup>1</sup>عبادة كحيلة، عن العرب والبحر، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1989م، ص 13.

<sup>2</sup>ينظر: جيلبير دوران: الأنثروبولوجيا: رموزها أساطيرها وأناسقها، تر، مصباح الصمد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1991م، ص 108.

1- تعريف الوطن

مفهوم الوطن في اللغة:

لا تختلف تعريفات الوطن في المعاجم العربية فيما بينها، فكلها تصب في المعنى نفسه.

جاء في لسان العرب لابن منظور :

"الوطن المنزل تقيم به وهو موطن الإنسان ومحلّه وقد خففه رؤية في قوله:

أَوْطَنْتُ وَطْناً لَمْ يَكُنْ مِنْ وَطْنِي،

لَوْ لَمْ تَكُنْ عَامِلَهَا لَمْ أَسْكُنِ

بِهَا، وَلَمْ أَرْجُنْ بِهَا فِي الرَّجْنِ

وقال ابن بري الذي في شعر رؤية:

"كَيْمَا تَرَى أَهْلَ الْعِرَاقِ أَنْبِيَاءُ وَطَنْتُ أَرْضاً لَمْ تَكُنْ مِنْ وَطْنِي"<sup>1</sup>

ومواطن مكة: مواقفها، وهو كذلك، ووطن بالمكان وأوطن أقام، والأخيرة أعلى، وأوطنه: اتخذه وطنا يقال: أوطن فلان أرض كذا وكذا أي اتخذها محلا ومسكنا يقيم فيها، والميطان: الموضع الذي يوطن لترسل منه الخيل في السباق، وهو أول الغاية، والميتاء والميتاء آخر الغاية قال الأصمعي: هو الميدان والميطان بفتح الميم من الأول وكسرهما من الثاني، وروى عمرو عن أبيه قال: "المياطين الميادين، يقال: من أين ميطنك أي غايتك، وفي صفته -صلى الله عليه وسلم- كان لا يوطن الأماكن أي لا يتخذ لنفسه مجلسا يعرف به، والموطن: مفعول منه ويسمى به المشاهد من مشاهد الحرب، وجمعه مواطن، والمواطن

<sup>1</sup>ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، ج15، بيروت، 2003م، ص 239.

## الذخيرة الأولى: الصورة الروائية وبعض المصطلحات

من المشهد من مشاهد الحرب، في التنزيل العزيز (لَقَدْ نَعَزَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ) "التوبة آية: (25).

وقال طرفة: "على مواطن يخشى الفتى عند الردى ... متى نعترك فيه الفرائض ترد وأوطنة الأرض وطنها توائطيا واستوطنها أي اتخذها وطنا، وكذلك الاتطان ووطنه على الأمر، أضمر فعله معه، فإن أراد بمعنى وافقه وقال : واطأه تقول: واطنة فلأتا على هذا الأمر إذا جعلتما في أنفسكما أن تفعلاه.

وتوطن النفس على الشيء كالتمهيد، قال ابن سيده: وطن نفسه على الشيء وله فتوطن حملها عليه، قال ابن كثير :

فقلت لها يا عز كل مصيبة... إذا وطنت يوما لها النفس ذلك"<sup>1</sup>

-وجاء في معجم مختار الصحاح لأبي بكر الرازي:

وطن: "الوطن محل الإنسان، وأوطان الغنم مرابطها، وأوطن الأرض وطنها واستوطنها واطننها أي اتخذها وطنا، وتوطن النفس على الشيء كالتمهيد والموطن، المشهد من مشاهد الحرب".<sup>2</sup>

المعجم الوسيط:

"وطن بالمكان أيطن وطنا أقام به، أوطن المكان وطن به والبلد اتخذه وطنا وأوطن نفسه على كذا مهدها له ورضاها به، ووطنه على الأمر أضمر فعله معه ووافق عليه.

واستوطن البلد توطنه، والمواطن الوطن، وكل مكان أقام به الإنسان والجمع مواطن والميطان موضع يوطن لتستدل منه الخيل في السباق والجمع مياطين، والوطن مكان إقامة

<sup>1</sup> ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، ج13، بيروت، ط3، 2003م، ص 451، 452.

<sup>2</sup> أبو بكر الرازي: مختار الصحاح، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيد، تحقيق، يوسف الشيخ، ط، 5،

1999، ص 341.

## الذيل الأول: الصورة الروائية وبعض المصطلحات

الإنسان ومقره إليه انتماؤه ولد به أو لم يولد ومريض البقر والغنم الذي تأوى إليه والجمع أوطان"<sup>1</sup>

### مفهوم الوطن في الاصطلاح:

لا يختلف الوطن في الاصطلاح كثيرا عن المعنى اللغوي، ولا يخالفه في المفهوم والدلالة فقد عرّف الجرجاني الوطن في الاصطلاح بقوله:

"الوطن الأصلي هو مولد الرجل، والبلد الذي هو فيه"<sup>2</sup>.

وطن الإقامة: "موضع ينوى أن يستقر فيه خمسة عشر يوما أو أكثر من غير أن يتخذه مسكنا"<sup>3</sup>.

وعند الرجوع إلى المعاجم، والموسوعات، وخاصة السياسية منها نجد أنها لا تختلف عن المعنى اللغوي، ففي المعجم الفلسفي نقراً:

"الوطن بالمعنى العام منزل الإقامة، والوطن الأصلي: هو المكان الذي ولد فيه الإنسان، أو نشأ فيه"<sup>4</sup>.

### وفي معجم المصطلحات السياسية الدولية:

"الوطن هو البلد الذي تسكنه أمة يشعر المرء بارتباطه بها، وانتهائه إليها"<sup>5</sup>.

من هذه التعريفات توصل الباحث زيد عبد الكريم الزيد إلى الوطن المراد هنا هو "الوطن الخاص، الذي يلد الشخص فيه ولادة ونشأة، أو نشأة فقط، وتعارف الناس عليه في العصر

<sup>1</sup> معجم اللغة العربية: المعجم الوسيط، دار الدعوة، ج2، القاهرة، ص 1042.

<sup>2</sup> الشريف الجرجاني: التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1993م، ص 253.

<sup>3</sup> المرجع نفسه: ص 253.

<sup>4</sup> جميل صليبا: المعجم الفلسفي، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، 1994، ج 2، ص 580.

<sup>5</sup> أحمد زكي بدوي: معجم المصطلحات السياسية والدولية، دار الكتاب المصري، القاهرة/ دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1،

1989م، ص 100.

## الفصل الأول: الصورة الروائية وبعض المصطلحات

الحاضر بالحصول على الجنسية، أو رابطة الجنسية، وهو لبنة متماسكة في بناء الوطن العام الذي يحد بالعقيدة الإسلامية ولا يحد بالحدود الجغرافية".<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup>زيد عبد الكريم الزيد، حب الوطن من منظور شرعي، ص 17، 18.

2- صورة الوطن في الرواية العربية :

"في مرحلة الفطام وأنا أحبوا باكيا وراء أمي المنصرفة عني وراء الكنس ورفض الغبار كنت أكل كل ما تطوله أظافري الغضة من تراب العتبة، والشارع وفسحة الدار، ويبدو أنني أكلت حصتي من الوطن منذ ذلك الحين..."<sup>1</sup>

ليس على وجه الأرض مكان بالنسبة للإنسان أجمل وأبهى من المكان الذي ولد فيه ونشأ وترعرع في أرضه وحول مبانيه، فالمكان بالنسبة له تذكر لأيام الصبا والطفولة البريئة وهو جزء مهم جدا من كيان الإنسان، وهذا ما دعاه الى الارتباط به جسديا وروحيا، فقد وجد الإنسان حنينه للوطن وشوقه له لأنه وجد أن الراحة النفسية والطمأنينة لا تكون سوى داخل هذا الوطن وكلما بعد عنه زادت ولعته واشتياقه له، فالغريزة تقوده للحب والحنين لهذا المكان منذ الصغر.

ولعل الأديب والشاعر من أكثر الناس وأقدرهم على صياغة هذا الشعور في قصائد وخواطر وقصصا غيرها للتعبير عن الحالة النفسية التي تصاحب هذه النزعة، وهو الأمر الملاحظ في الأدب العربي عموما، والأدب العربي على وجه الخصوص.

<sup>1</sup> محمد الماغوط: سأخون وطني، دار المدى للنشر والتوزيع، ص 410.

## الذئد الأؤل: الصؤرة الروائية وبعض المصطلحات

المغرب العربي: (الجزائر، تونس، المغرب)

يعد أدب المغرب العربي من أبرز الآداب تجسيدا للوطن، والوطنية وهذا عائد لما لاقته بلدان شمال إفريقيا عامة والمغرب العربي خاصة من اضطهاد واستعمار الذي استبد بترايه وحاول محو هوية الشعوب، ودينها فحاول الأءباء ترسيخ مبادئ حب الوطن وغرس روح الدفاع عنه، الموت في سبيل أن ينعم الوطن بالحرية.

عند الكلام عن النثر من المؤكد أننا سنتكلم على فن الرواية الذي أصبح يعد ديوان العرب في عصرنا الحالي وهذا لما لاقته الرواية من رواج سواء في التأليف أو المادة الفنية التي أصبحت تستعملها ناهيك عن ارتفاع نسبة المقرئية لدى الفرد عندما يتعلق الأمر بالرواية التي سنحاول في صءدها تقديم بعض الأعمال الروائية التي حملت في طياتها صورة من صور الوطن.

في رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغامي التي جعلت من بطل القصة الفنان الذي يسخر موهبته الإبداعية ليرسم جسور مدينته قسنطينة، وذلك من خلال توظيف الوطن على شكل امرأة فيقول:

"بيء واحدة كنت أحتضنك، وأزرعك، وأقطفك، وأعريك، وألبسك، وأغير تضاريس جدك لتصبح على مقاييسي

يا امرأة على شاكلة وطن.<sup>1</sup>

ويظهر جليا الحنين إلى الوطن في رواية ذاكرة الجسد حيث البطل خالد يتذكر وطنه وبلده قسنطينة كلما رأى النهر "نهر السين"، ورغم كل البلدان التي زارها في فرنسا ومن بينها باريس إلا أن صورة قسنطينة ظلت راسخة في ذهنه وهذا ما حاولت فيه الكاتبة أحلام

<sup>1</sup>أحلام مستغامي: ذاكرة الجسد، دار الآءاب، بيروت، ط15، 2000م، ص 184.

## الذيل الأول: الصورة الروائية وبعض المصطلحات

مستغامي إبرازه من خلال روايتها أنه لا مكان يأخذ مكانة الوطن الأم ولا حينين يبعه على حضن قسنطينة.

كما تجلت أيضا محبة الوطن والاعتزاز به في روايات أحلام التي تكون بعنوان عابر سرير فتقول: فقدت صوتي فجأة أمام تلك اللوحة التي ما عادت مساعدة لفظ نزاعات الألوان، بل مساحة لفظ نزاعات التاريخ...<sup>1</sup>

ومنه فقد تمكنت هاته اللوحة من احتواء مكان من خلال الرسم، وهذا ذكرها بوطنها فلم يكن للرسم معنى ولا تشكيل في نفسها أكثر من المكان الذي تذكرته وذكرها بتلك الرابطة التي تجمع بينهما:

أما عن رواية "نوار الدفلى" للكاتب التونسي حسونة المصباحي فقد أتى بشكل جديد عن مفهوم الوطن وكيفية النظر إليه والتعامل معه وهذا على أن حب الوطن والتعلق به يأتي فطريا وذلك من خلال سرد القصص وأسلوب الحكيم على أسنة من هم أكبر منا وأكثر حكمة فكلما كثرت الحكايات على الوطن زاد التعلق به وحبه، وجسد الكاتب هذه النظرية من خلال بطله الرواية نادية المحملة بالأسقام ومرض السرطان، المرأة ذات الأربعين عاما التي تستوطن في ألمانيا ولكنها تحن إلى صفاقس مسقط رأسها فلتجأ وتلوذ بالفرار ونسيان أمر موتها بسرد القصص وتستعيد حكايات طفولتها على أسماع بعض النساء التونسيات.

يغدو البيت في رواية واسيني الأعرج "أنثى السراب" مسرحا لأحداث رواية متعددة الأجيال تتبع العائلة الموريسكية الجزائرية منذ نشأتها في القرن الخامس عشر، بل إنه المحور الأساسي الذي تبنى حوله الرواية متعددة الأصوات وهي استعادة الوطن من حيث أنه تاريخ وذاكرة وتوظف الرواية التاريخ توظيفا دلاليا مبتكرا يضع القصص الشخصية في قلب المذكرات فيقول واصفا البيت كسماة واسعة:

<sup>1</sup> أحلام مستغامي: عابر سرير، منشورات أحلام مستغامي، بيروت، لبنان، ط2، 2003م، ص 59.

## الخصل الأول: الصورة الروائية وبعض المصطلحات

"حبيبي هذه الرسالة كتبتها البارحة فقط وأنا ممددة على الفراش، وكان علي أن أتخيل سقف الغرفة سماء واسعة لكي أستطيع الكتابة أتأمل الأنجم، علني أعثر على الوطن ما هو إلا صورة نرسمها نحن في أذهاننا فإن شئنا جعلناه واسعاً لا حدود له أو طيفاً حرجاً كأن يموت الإنسان فيه من خلال دقائق إن لم يخرج منه".<sup>1</sup>

يقال أن الإبداع يولد من رحم المعاناة، عبارة كثيراً ما نردها حتى وإن كانت تحمل بين طياتها رؤية مبصرة عن سبل تسلق جدار الإبداع، وقد قيلت هاته العبارة في حق كتاب وأدباء أبدعوا رغم حياتهم التي لا توصف بحياة، فنجد من بين تلك الأسماء اسم لمع بريقه وتخللت أعماله الجرأة، والتمرد والجدل كلها صبت في كتابات المغربي الراحل محمد شكري فهو نموذج لتجربة أدبية وإنسانية فريدة من نوعها، فمع أدب شكري أخذ البؤس والجهل والفقر عناوين، ومواضيع فجّل إبداعاته تمحورت في شكل يسرد الواقع المغربي ومن بين أكثر أعماله الخبز الحافي، الذي تكون برفقته أما أدب ولد من رحم المعاناة فهي عمل يحكبه سيرة ذاتية روائية، دراما ضياع الإنسان وتغيرات العلاقة الإنسانية المفجعة واصفاً بذلك كل أحوال المواطن وعلاقاته الداخلية والخارجية بالوطن على شاكلة الفقر الذي نهش من جسم الإنسان وأخذ في التآكل والزوال، أما فيما يخص قضايا الوطن فبعضها يصفها بقوله.

"دخلت مقبرة بوعراقية، التقطت أغصانا من الريحان من فوق القبور الجميلة وضعتها على قبر أخي، رأيت هناك قبورا كثيرة بلا ريحان، بلا بلاطات مثل قبر أخي: ربوة من التراب وحجران (مختلفان في الشكل)"<sup>2</sup>

يحيل بذلك الكاتب على حال وطنه المغتصب ويرثي لحاله كحال المقبرة فيقول حتى الموتى، تنصب لهم مقابر حسب ألوانهم وأشكالهم فهته العنصرية هي ما أوصلت هذا الوطن لحاله في الوقت الراهن وقد تلاعب الكاتب بالأحداث بشكل فريد ومميز حيث خيل للقارئ

<sup>1</sup> واسيني الأعرج: أنثى السراب، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2010م، ص 215.

<sup>2</sup> محمد شكري: الخبز الحافي، دار الساقى، بيروت، ط6، 2000م، ص 16.

## الذئبل الأول: الصورة الروائية وبعض المصطلحات

أنه يتحدث عنه وإليه وهذا ما تفرد به الكاتب المغربي عن غيره فقد كان من عامة الشعب فيقول في الصدد نفسه "حتى هنا في المقابر - عندهم الأغنياء والفقراء، لماذا؟

يموت الإنسان"...<sup>1</sup>

حاول الكاتب أن يرسم لنا أن الوطن للأغنياء، والوطنية للفقراء وهذا حال المجتمعات العربية ككل حتى في عنوان كتابه رسالة مشفرة ذات طابع إنساني يوحي بالفقر والعجز الذي وصل إليه المواطن المغربي البسيط وذلك نتيجة للأوضاع التي سادت في المغرب فأراد بث الروح من جديد في قلوب الأفراد وتذكيرهم بأهم من الحياة الدنيا، بل أن تتسع أنظارهم لحياة أخرى أكثر رعدا ورفاهية ولكنها لا تأتي بالركون والسكون بل عليهم بالحركة الدينية والدينية.

يقول محمد شكري في الكلمة التي افتتح بها الخبز الحافي: "أنتظر أن يفرج عن الأدب لا يجبر ولا يراوغ، فالمسألة هنا تتمحور حول كتابة لا تعرف الهدنة ولا تستجيب للسكينة ولا تعرف الليونة ولا المرونة، وترفض الانسيابية، فهي مادة سردية عنيفة تنتهك كل شيء دون تردد، وهي كتابة انقلابية انتقامية تتشكل في فضاء وحشي من اللغة مرورا بالصورة وصولا إلى السياق، في بنيتها الفنية وألفاظها وجملها وأسلوبها وبنيتها اللغوية، بل حتى في شكلها ومضمونها، في فواعلها وعوالمها الخارجية والسرية..."<sup>2</sup>

بلاد الشام:

والآن سنخوض بكم في غمار أدب جديد وفي رحال جديدة تأخذنا بعيدا إلى بلاد الشام بلاد هي عرفت بحب القريب، والبعيد عنها فطالما كانت مقصد ومرتع القلوب وراحة المهموم، ولكن هيهات هيهات فدوام الحال من المحال، في زمن أصبح لا يعرف فيها أين الوطن من بين الأتفاض ولا هي عملية إصلاح أو فساد.

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص 16.

<sup>2</sup> جميل فتحي الهمامي: باحث في الحضارة العربية، مدونات الجريدة 2018/05/18.

## الذئد الأول: الصورة الروائية وعضى المصطلحات

ومن المؤكد عند سماع بلاد الشام أن يتبادر إلى أذهاننا فلسطين الحبيبة التي شغلت قضيئتها الصغير والكبير القريب والبعيد فلم لا تشغل كذلك الأدب وعند الحديث عن الأدب الفلسطيني سنستند في ذلك إلى ثلاثة أسماء: غسان كنفاني، إميل حبيبي، وجبرا إبراهيم جبرا وإلى هذه اللحظة بقيت أعمال هؤلاء الروائيين الثلاثة غير متجاوزة من قبل الروائيين الفلسطينيين الذين بدأوا الكتابة الروائية بعد غسان وجبرا وإميل، إن روايات غسان كنفاني بطاقتها التجريبية اللافتة وبحثها في الغنى النوعي للأشكال لتجسيد الأفكار والوطن بصورة تعبيرية لحم كل فلسطيني فيقول في رواية عائد إلى حيفا.

"وانحنى سعيد إلى الأمام وسألها: هل تعرفين من نحن؟ وهزت رأسها بالإيجاب عدة مرات لتزيد الأمر تأكيدا، وفكرت قليلا كي تنتقي كلماتها، ثم قالت ببطء... أنتم أصحاب البيت وأنا أعرف ذلك.

كيف تعرفين...؟ جاء السؤال من سعيد وصفية في آن واحد.

وزادت العجوز في ابتسامتها ثم قالت ... من كل شيء من الصور، من الطريقة التي وقفنما بها أمام البيت"<sup>1</sup>

نجد في ما قاله كنفاني اعتراف صريح من الكيان الصهيوني أن فلسطين أرضهم، وهم فقط طفيليات أبت الخضوع للحق والإذعان له وهذا لجبروتهم وضعفهم الديني وهذا ما حاول إثباته غسان في جل رواياته وخاصة "عائد إلى حيفا" التي تحكي قصة الشاب سعيد وصفية وزوجته من بين كل العائلات الفلسطينية وما يعانيه الشعب الفلسطيني من ترحيل وترهيب، ولكن تبقى صورة الوطن هي التي تعلو مهما زاد المغتصب ظلما.

في عمل إميل حبيبي الروائي نعر على محاولة روائية متميزة للاستفادة من الأشكال التراثية، وهو في رواية المتشائل يستخدم المقامة، وفن الخبر واقتباس الأشعار والطرائف والأمثال، ويصهرها في البنية السردية للعمل، ليشكل بذلك شبكة سردية تدور حول شخصية

<sup>1</sup> غسان كنفاني: عائد إلى حيفا، منشورات الرمال، بيروت، ط 1، 2013م، ص 34.

## الذئبل الأول: الصورة الروائية وبعض المصطلحات

سعيد أبي النحس المحورية في النص وهي شخصية يبدو ظاهرها غير باطنها، لكن المفارقات اللفظية والموقفية تكشف عن طبيعة ولأها وتكشف في الوقت نفسه عن كوميديا سوداء يعيشها شعب مشرد على أرضه فيقول في روايته: ومن خلال العتاب المشبع بالنعيب وبأيماني المغلظة أنني لا يمكن أن أخرج بيت أحد من الناس فكيف سعاد، فهتمت أن أبا سعاد كان قد هاجر مع عائلته من حيفا إلى الناصرة وذلك لغم الرفينري الأول<sup>1</sup>

وهي رسالة مشفرة على أنه من المستحيل أن يهدم شخص أوطان غيره فكيف به أن يهدم وطنه وهو رد لمن اتهم الشعب الفلسطيني بتدمير بلده لعدم القبول والرضوخ لوجود الكيان الصهيوني معهم وبينهم.

أما عن ختام أدباء الشام فتأتي الكاتبة السورية غادة السمان التي عرفت بمراسلتها لغسان كنفاني وعلاقتها به وقد لاقى الكثير من النقد على كتابها الأخير أو ما يسمى رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمان وأثارت الجدل فيها، ولكن هاته العلاقة هي ما دفعها أكثر للكتابة والخوض في بحر العمل الأدبي، فقد كانت لهاته العلاقة أثر كبير على عملها الأدبي وظهر هذا جليا في ولعها بالقضايا الوطنية، التي تجسدت في روايتها ليلة المليار التي كانت تحاكي الظروف، وتقص ما مرت به لبنان في تلك الحقبة الزمنية فقد سيطرت رواية غادة على عقول القراء والنقاد ويعتبرها البعض من أهم أسباب تسمية الرواية ديوان العرب في العصر الحديث متفوقة على الشعر الذي كان يعتبر ديوان العرب في القديم، فالرواية تعكس بعدا إضافيا كتوثيق لحاضر مؤلم بأشواكه المعاشة كما كان الحال عند كتابتها، بل كصورة لماض لا يجب أن ننساه لكي لا ننزلق في موقع فقد الصلة بإنسانيتنا في حرب داخلية طاحنة في أي موقع لنا، وتظل عملا أدبيا رائعا متفردا في الرواية والتعبير.

<sup>1</sup> إميل حبيبي: المتشائل، دار ابن خلدون، بيروت، ط2، 1989م، ص 72.

## الذئد الأؤل: الصوره الروائيه وبعض المصطلحات

تقول غاده في الروايه: "إني أراهم يتجمعون، يطلقون رصاصهم صوبها الطائره الورقيه الملونه، يريدون إسقاطها بأي ثمن وسط ذلك اليباس المحروق الشاسع، ولكن الطائره الورقيه تابعت تحليقها... وظل خليل يتابعها بأنظاره حتى أحس بألم في رقبته"<sup>1</sup>

وفي هذا تلميح على استمرار الحلم رغم الاستبداد والعقبات إلا أن الإيمان والقتال لأجل ما تؤمن به سيتحقق ولو بعد حين .

ومن هنا نصل إلى ختام ذكر بعض من نماذج صور الوطن في الروايات العربيه والتي تعد من بين أشهر الروايات وأكثرها انتشارا وهذا لما تحويه من جماليه وموضوعيه .

---

<sup>1</sup> غاده السمان: ليله المليار، منشورات غاده السمان، akhwia.net، 1986م، ص 492.

## الفصل الثاني:

تجليات الوطن في الرواية

-شعرية السمياء في الروائية

-تمظهرات الوطن في الرواية

## الفصل الثاني: تجليات الوطن في الرواية

الفصل الثاني : تجليات الوطن في الرواية

المبحث الأول: شعرية السيمياء في الرواية

### 1-سيمائية العنوان:

يعد العنوان أول ما يستوقف القارئ لكونه يمثل العتبة الأولى للنص، ولذلك فهو: "يشكل مرتكزا دلاليا يجب أن ينتبه عليه فعل التلقي بوصفه وسيلة الاتصال الأولى بين القارئ والعمل الأدبي، فهو يمثل مرحلة توازن واختزال للعمل... نظرا لكون وجوده لا يتحقق إلا في متن النص الأدبي فهو يخلق نواة وبنية دلالية كبرى تتجلى في داخل النصوص ليتشكل على ضوئها هذا العنوان الرئيس"<sup>1</sup>

ونظرا لأهمية العنوان في تشكيل الخطاب الروائي، فإنه يشكل الرسالة التي يسعى المؤلف الضمني لنقلها إلى القارئ ومن ثم فلا بد أن تتوفر فيه شحنات دلالية مكثفة تجعله قادرا على أن يتحمل الجينات الكامنة في النص، ومن ناحية أخرى، يعد العنوان جسرا مشتركا بين كل من المرسل والمستقبل، تعبر من خلال الدلالات التي تشي بمضمون السرد، ولذلك فإن العنوان لا يفهم بمعزل عن النص.

إن العنوان من جهة المرسل هو نتاج تفاعل علامتي بين "المرسل" و"العمل"، أما المستقبل فإنه يدخل إلى العمل من بوابة "كعنوان" متأولا له، وموظفا خلفيته المعرفية في استنطاقه...<sup>2</sup>

والواقع فإن العنوان استعارتسيمائية تنسج بنيتها الدالة لاستقطاب عمقها الأنطولوجي من هاجس البدايات والنهايات، وهي تتداخل وتتناسل في بنية النص، منطوية على طبيعتها

<sup>1</sup> محمد خليف خيضر: سلطة الإبداع الأنثوي في الخطاب النسوي، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1912، ص 55.

<sup>2</sup> عبد المنعم زكرياء القاضي: البنية السردية في الرواية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط1، 2009م، ص 174.

## الفصل الثاني: تجليات الوطن في الرواية

الإغوائية في تحريك وعي المتلقي لخوض مشاركة وجدانية وتأويلية تبعث في داخله كينونة التجلي للغياب الكامن في الحضور الكتابي.

إن تتبع أحداث رواية "الوطن ليس هنا" يحيل على أن الكاتب يروي لنا الأحداث بشكل واقعي فالأحداث تعكس الحالة الاجتماعية للكثير من الأفراد المغاربة ويظهر ذلك جليا في العنوان الذي يشرح الضياع الذي يعيشه طارق في نفسه: "لذلك فأنا لا وطن لي... لا وطن لي"<sup>1</sup>

كما يشير العنوان إلى تساؤل وجودي، وهو أين هو الوطن، الوطن ذلك الذي ألفت فيه الأشعار وشردت فيه الأطفال وقتل فيه الملايين لأجل أن يزدهر وهو ما نجده واضحا في أحداث الرواية في بحث طارق عن وطنه، في إجابة مقتعة وهذا ما يدفع المتلقي في وضع علامات استفهام محاولا إيجاد الوطن الذي ليس هنا فيتبادر في ذهنه إذا أين هو؟

من الواضح أن عنوان الرواية "الوطن ليس هنا" يعد العنصر الذي يظهر في واجهة الكتاب كإعلان إشهاري محفز للقراءة.<sup>2</sup>

كما نلاحظ أن حياة طارق والأحداث التي يرويها الكاتب في الرواية تنطبق كليا مع العنوان فكلاهما يطرح علامة استفهام، فالبطل يعيش لحظات من عدم الاستقرار والثبات بل هو في عملية بحث أو تقلبات نفسية وأخرى مزاجية، فدلالات العنوان تحمل في وسطها حجم المعاناة التي عاشها طارق وكل ذلك الفشل الذريع في قصص حبه، وخسارة كبيرة لأحلامه بوطن معافى وكل شغله براحة أبناء جلدته، ليجد نفسه محاطا بدار اليأس والحرمان "أي عظمة في الأمر يا نجيب؟ رفاقنا البعض منهم هاجر دون رغبة في العودة، والبعض استشهد أو أصبح في خبر كان، وقلة يعيشون الآن سعداء في أسر هادئة".<sup>3</sup>

<sup>1</sup>مراد الضفري: المصدر نفسه، ص 89.

<sup>2</sup>رشيد بن مالك: السيميائية السردية، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1 2009، ص 81.

<sup>3</sup>مراد الضفري: المصدر نفسه، ص 130.

## الفصل الثاني: تجليات الرّوح في الرواية

كما نرى أن العنوان قد كتب باللون الأحمر العريض، وهو لون متعدد الحالات، وذلك لارتباطه برؤى مختلفة، فقد يوحي بلون الدم، وهو رمز الحروب والموت، أو قد يكون فآل خير وتفاعل فيوحي بدم التضحية سواء فداء للوطن أو قربانا من الله، فتختلف الرؤى، والتأويلات كل حسب نظرته، وقد يرمز إلى الحب.

"إن كل طريق في هذه الأرض تؤدي إلى الموت، كلا الأقدار والنشرات الإخبارية تتجمل بأبهى حللها لاستقبال الموت، في فلسطين وحدها يستقبل الموت بالزغاريد وآمال الحياة".<sup>1</sup>

"إن العنوان غدا علامة لها مقوماتها الذاتية مثله مثل غيره من العلامات المنتجة للمسار الدلالي الذي نكوته ونحن نؤول النص والعنوان معا...<sup>2</sup>، وهذا ما يشير إليه العنوان في الوهلة الأولى من قراءته على أن الوطن مفقود بالنسبة للكاتب ويتضح ذلك بشكل كبير عند قراءة النص وتأويل أحداثه بشكل سليم وعلى هذا فإن العنوان يؤدي دورا مركزيا في عملية إنتاج القارئ لمعنى العمل ودلالته وبذلك لم يعد العنوان مقصورا على مجرد مرشد للعمل يمر عليه القارئ مرورا سريعا متوجها إلى النص، وإنما أصبح جزءا استراتيجيا في بناء النص، وتزداد أهمية العنوان من خلال قراءة النص، وذلك لأن القارئ يتوجه إلى المتن وقد علقت في ذهنه إحياءات العنوان ورموزه، وهو في ذات الحين يقوم بربط كل هذا بما يليه أثناء عملية قراءة النص وتأويله، فالعنوان أصبح أداة استدلالية تفكك رموز النص ومجاهيله، وهذا ما دفع جاك دريدا إلى تسميته: بالثرثيا التي تحتل بعدا مكانيا مرتفعا يمتزج لديه بمركزية الإشعاع على النص".<sup>3</sup>

ومن خلال العنوان نستنبط فكر الكاتب لأنه يجعل ذهن القارئ في عملية تفكيك وبحث عن إجابات من خلال قراءته لمتن النص الروائي.

<sup>1</sup>مراد الضفري: المصدر نفسه، ص 136.

<sup>2</sup>محمد جابر عبيد، سوسن البياتي: جماليات التشكيل الروائي، عالم الكتب الحديث، اردن، الأردن، ط1، 2012م، ص 26.

<sup>3</sup>محمد صابر عبيد: المغامرة الجمالية للنص السير ذاتي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2011م، ص 57.

### سيميائية الغلاف:

الغلاف من العتبات الأولى التي تصافح بصر المتلقي، لذلك أصبح محل عناية واهتمام الشعراء، الذين حولوه من وسيلة تقنية معدة لحفظ الحاملات الطباعية إلى فضاء من المحفزات الخارجية والموجهات الفنية المساعدة على تلقي المتون الشعرية<sup>1</sup>

"فالغلاف هو ما يلفت القارئ للتوجه إلى الكتاب وقراءته، وهو الشيء الذي يلفت انتباهها بمجرد رؤيتها للديوان، لأنه العتبة الأولى من عتبات النص الهامة تدخلنا إشارته إلى اكتشاف علاقات النص بغيره من النصوص".<sup>2</sup>

من خلال الغلاف يستطيع الباحث أن يعبر إلى أغوار النص الرمزي والدلالي، كما يعتبر أيضا عنوان الرسالة وليس قبرا باردا، "وبالتالي يكون العنوان بالدرجة الأولى قادرا على جذب الانتباه وإثارة الاهتمام ولتحقيق هذه الغاية يتطلب خاصيتي التناسب والمرونة البصرية".<sup>3</sup>

### الغلاف الأمامي:

يعد الغلاف الأمامي العتبة الأمامية للكتاب التي تقوم بوظيفة عملية هي:

"افتتاح الفضاء الورقي".<sup>4</sup>

أما لوحة الغلاف فشكلت معمارا فضائيا بخلفية إسهامها هي الأخرى في تكريس البنية السيميائية العامة للرواية، وهذا ما يعطي مؤشرات أولى نحو الدلالة من خلال صورة الغلاف.

<sup>1</sup> محمد الصفواني: التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث (1950، 2004) النادي الأدبي بالرياض/المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2008م، ص 133.

<sup>2</sup> خليل شكري هياس: القصيدة السير ذاتية، بنية النص وتشكيل الخطاب، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2010م، ص 119.

<sup>3</sup> ضياء غني لفته: سردية النص الأدبي، ص 111.

<sup>4</sup> محمد الصفواني: التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث، ص 134.

## الفصل الثاني: تجليات الوطن في الرواية

نشير أولاً أن واجهة الغلاف قد تضمنت لونين طاغيين على اللوحة، يوحي للقارئ بدلالة ما مرتبط بلون العنوان "وقد تساعده في ذلك دلالة النص في الصورة المصاحبة للغلاف"<sup>1</sup>، كما نلاحظ هيمنة اللون الأسود في الغلاف الأمامي "وهو لون يُحمل من منظور نفسي يرمز إلى الحزن حيناً في معظم الشعوب ويحل إحساساً بالوحشة والكآبة والهم والغم، وحيناً لا يعني الكآبة والحزن لأن به ترتاح النفوس وتلجأ إليه من عناء الكد والتعب، والإرهاق الذي يصاحبها في النهار وتسكن فيه بعد يوم مليء بالنشاط، والحركة"<sup>2</sup>، كما أشار الكاتب في الرواية أن الليل يثير البطل طارق ويبعث في نفسه الهدوء والطمأنينة "تثيرني هذه المدينة عندما تلبس سواد الليل، تظهر لي مفاتها الليلية كحورية بحر"<sup>3</sup>.

ولكن عند تتبع أحداث الرواية نجد أن السواد يعني الحزن والنتية، والضياح وهذا يعود للأحداث التي مر بها طارق في سنواته الأخيرة، لذا فقد وفق الكاتب في مزج دلالات الرواية مع دلالات الغلاف الأمامي وهي الغم: يقول الرازي: "وقد جعل السواد كناية عن الغم وذلك لأن الإنسان إذا قوي فرحه انشرح صدره، وانبسط روح قلبه من داخل القلب، ووصل الأطراف ولا سيما إلى الوجه لما بينهما من التعلق الشديد وإذا وصل الروح أشرق الوجه وتلألاً واستتار، أما إذا قوي غم الإنسان اختنقت الروح في باطن القلب، ولم يبق منه أثر قوي في ظاهر الوجه، وإشراقه، ومن لوازم الغم كمودة الوجه، وغبرته وسواده"<sup>4</sup>.

وهي إشارة على غم الوطن وسواده فهي دلالاته على ضياح طارق وسط هذا البلد والبحث عن مخرج منه.

أما العنوان فقد احتل الوسط وهذا ليجلب الانتباه ويؤثر في نفسية القارئ على عكس الاسم الذي جاء في الأعلى، وهذا ليثعر القارئ بأهميته بوصفه عتبة قرائية لا تتجاوزها

<sup>1</sup> ضياء غني لفته: سردية النص الأدبي، ص 133.

<sup>2</sup> نجاح عبد الرحمن المرزاق: اللون ودلالاته في القرآن الكريم، جامعة مؤتة، رسالة ماجستير، قسم أدب عربي، 2010م، ص 59.

<sup>3</sup> مراد الضفري: المصدر نفسه، ص 76.

<sup>4</sup> الرازي: (محمد بن أبي بكر): مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992م، ج20، ص 45.

## الذيل الثاني: تجليات الرطب في الرواية

الدراسات الحديثة في تحليلها للنصوص، وموحيا في الآن نفسه، بوظيفته الجمالية الإغرائية الكامنة.<sup>1</sup>

نلاحظ أن العنوان كتب باللون الأحمر دليل على الدماء والحزن وما تخلفه من مآسي وهذا ما نراه في حياة الشعوب وقد عمد الكاتب كتابة العنوان باللون الأحمر في إشارة منه إلى الفئة التي تحارب لأجل استرداد كرامتها وأن تحظى بأوطان كسائر البشر فيصف حال طارق وقتاله : "بعد دقائق قليلة فتحت عيني بتناقل شديد وأنا ممدد على رمل التصق بجسدي ممزوجا بسائل أحمر لزج أدركت أنه دم!!ماذا حدث من أين جاء هذا الدم ..؟"<sup>2</sup>، وهي وصف لحال فلسطين وما يعيشه الفرد الفلسطيني كل يوم من دماء وقتل وتشرد، فقد كان للون الأحمر بروزه الأكبر في صقل الشعور بالحزن والفقدان اللذان يعيشهما أهل الحرب.

كما أن اللون الأحمر له دلالات أخرى فهو خامس الألوان تكرر في القرآن الكريم متساويا مع اللون الأزرق في عدد مرات ذكره وقد ذكر مرة واحدة وقد ورد في وصف الجبال: في قوله تعالى: "الَّذِينَ تَرَوْنَ أَنَّ اللَّيْلَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ" فاطر الآية (27) ، وهنا يعني المظهر الجميل وهو اختلاف ألوان الجبال كما تشير الآية إلى اختلاف اللون الأحمر بدرجات متفاوتة وهو ما يبعث في النفس الطمأنينة والسكينة، لأنه قد اقترن باللون الأبيض الذي يوحي بالسلام أو الموت.

ومن الواضح في صورة الغلاف أننا نلاحظ صورة لرجل يمشي على جسر ويضع يديه في جيبه إشارة منه على التفكير والرحيل ولكن لوجهة هو لا يعلمها فمن الوهلة الأولى عند النظر للرجل نلاحظ ذلك الكم من التيه أو الغربة النفسية وكأنه شخص يحاول البحث عن

<sup>1</sup> خليل شكري هياس: القصيدة السيرداتية، بنية النص وتشكيل الخطاب، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، 2016م، ص 133.

<sup>2</sup> مراد الضفري: المصدر نفسه، ص 159.

## الفصل الثاني: تجليات الوطء في الرواية

حل وهو يمشي في طريق لا يعرفها وكانت هناك بعض الأحداث في الرواية تحمل نفس الأوصاف، والمشاعر التي تبدو ظاهرة في الغلاف الأمامي: "مشيت ساعات تلو الساعات، اجر رجلي التائهتين وقلبي الهائم في شوارع الرباط مخدرا بابتسامة ونظرة تلك الفتاة الشقراء الساحرة لأجد نفسي قد وصلت إلى المبنى الذي أسكن فيه".<sup>1</sup>

"مضيت وأنا أجر ذيول خيبيتي إلى رصيف المقهى المجاور".<sup>2</sup>

فقط من الغلاف نعرف محتوى الكتاب ومضمونه "الصورة إذن هي فن أولاً وشكل جمالي قبل أن تكون قناة إبلاغية لخطاب ما".<sup>3</sup>

وهنا نجد أن الصورة تكون سندا للقارئ ومكملة لدلالته كما تلخص محتوى الرواية بشكل كبير، فهي صامتة ولكن لغتها عميقة تظهر ما كان خفياً أو مستعصياً في الرواية.

<sup>1</sup>مراد الضفري: المصدر نفسه، ص 26.

<sup>2</sup>المصدر نفسه: ص 51.

<sup>3</sup>خليل شكري هياس: القصيدة السير الذاتية، ص 119.

"يعد الإهداء من العتبات الاختيارية التي لا تلزم الكاتب بضرورة وجوده في مستهل كل نص، فهو تقديم من الكتاب وعرافان يحمله الآخرون سواء كانوا أشخاصا، أو مجموعات (واقعية، أو اعتبارية)، وهذا الاحترام يكون إما في شكل مطبوع موجود أصلا في العمل /الكتاب، وإما في شكل مكتوب يوقعه الكاتب بخط يده في النسخة المهداة".<sup>1</sup>

والواقع هو عتبة مركزية لفتت المنهجيات الحديثة النظر النقدي إليها بقوة بوصفها علامة دالة لا بد من معاينتها قبل الدخول في ميادين المتن النصي وهي: "من بين العتبات النصية التي لم يعرّها الخطاب النقدي العربي بالا، ولم يلتفت إلى تنويعاتها وتعددتها، واختلافها عبر الزمان والمكان، فالإهداء ممارسة اجتماعية داخل الحياة الأدبية، يستهدف عبرها الكاتب مخاطبا معينا/ ويشدد على دوره في إنتاج هذا الأثر الأدبي قبل وبعد صدوره، وعلى هذا الأساس في اختيار عبارات الإهداء وتشكل ديباچته، من هذا المنظور فإن الإهداء هو بوابة حميمة دافئة من بوابات النص الأدبي، وقد يرد على شاكلة اعتراف وامتنان، شكر وتقدير رجاء والتماس...إلى غير ذلك من الصيغ الإهدائية التي يؤدي فيها البعد الوجداني، الحماسي والحميم الدور المميز".<sup>2</sup>

فتقنية الإهداء بوصفه نصا محيطا وعتبة دالة "يضيء المسار العام للقصيدة ويقترن في جوهره بمرجعيات تتناص مع إيديولوجية الروح في تعالقها مع الآخر بكل تنوعاته بما تحمله هذه الإيديولوجية من تراكمات إنسانية، وثقافية، سياسية، وحياتية، أجمت الوعي في استثمار الفضاء المحيط بالنص...والتواشج مع بنية العنوان لإضاءة مداخل النص".<sup>3</sup>

<sup>1</sup> عبد الحق بلعابد: عتبات جيرارجينت من النص إلى المناص، منشورات الاختلاف الجزائر العاصمة، ط1، 2008م، ص 93.

<sup>2</sup> محمد صابر عبيد: سيمياء الموت، تأويل الرؤيا الشعرية، دار نينوى للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2010م، ص 41-42.

<sup>3</sup> عز الدين جلاوي: سلطان النص، دراسات في روايات، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر العاصمة، 2008م، ص 349.

## الفصل الثاني: تجليات الوطن في الرواية

إذن يعد الإهداء من الموازيات النصية المصاحبة، "أي أنه عتبة على غرار العتبات النصية الخارجية، ويتموقع عادة في الصفحة الأولى قبل بداية النص، أو في الصفحة الثانية بعد الغلاف، فهو من وضع كاتب النص، لا من وضع الذات الساردة مثله مثل العنوان والحواشي الخارجية الموازية للنص الأصلي".<sup>1</sup>

ففي رواية "الوطن ليس هنا" نقرأ الإهداء كالتالي:

"إلى كل منسقط

شهيدا

أو حبا

في هذا الوطن العربي الكبير"<sup>2</sup>

بمثل هذا الكلام يفتح مراد الضفري مشروعه الإهدائي لكل العرب من شمال إفريقيا إلى شرق آسيا وذلك في كل شهيد الوطن أو شهيد الحب فهكذا كانت كلمات الكاتب الأولى في روايته والتي تحمل معاني عميقة وقد اقترن الاستشهاد عنده بالوقوع في الحب فكلاهما في نظره هما أمران يستحقان التضحية لأجلهما.

وبذلك فإن الإهداء في تصور "مراد الضفري" ليس إهداء عمليا بقدر ما هو إهداء نفسي حمل بين ثناياه الحب والإخلاص، وهنا تكون القيمة المعنوية فيه أكثر تجليا من كونها قيمة مادية، وهذا يعود للقيمة الروحانية التي يستشعرها الكاتب في الوطن والحب وهما اللذان لا يشتريان بالمال، كما نلاحظ أن الإهداء خال من كلمة الإهداء في بدايته بل تركه الكاتب مفتوحا فارغا من كل تلك الرسميات ليتحسس القارئ أنه معني في هذه الافتتاحية وهذا

<sup>1</sup> حسينة فلاح: الخطاب الواصف في ثلاثية أحلام مستغانمي، رسالة ماجستير، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ص 68.

<sup>2</sup> مراد الضفري: المصدر نفسه، ص 6.

## الفصل الثاني: تجليات الوطن في الرواية

الأسلوب أصبح شائعا بين المؤلفين وهو عدم التقيد بفئة معينة، والإشارة إليها بل تكون على شكل غير محدود ويعتبر ذلك من جماليات السيميائية في الدال والمدلول.

حيث نجد أن كلمة الشهيد والحب في الافتتاحية قد تم ذكرهما كثيرا في متن النص وهذا لدلالة الإهداء وارتباطه مع النص ارتباطا وثيقا.

"أولهم رحل في الحرب، كان الاستشهاد من أجل فلسطين، بالنسبة له أعلى من الحب، والثاني رحل بكل بساطة"<sup>1</sup>

وهنا نجد تلك العلاقة التي تربط كلمات الإهداء أو الافتتاحية بين الشهيد والحب بين السقوط والوقوف، فالكاتب وصف مشاعره في كلمتين فقط وقد كان لهما التأثير الكبير في نفوس المتلقين، وهذا لكون الافتتاحية تلامس قلب كل من قرأها.

<sup>1</sup>مراد الضفري: المصدر نفسه، ص 154.

#### الوطن المرأة:

"نقول في البداية بأن صور المرأة أكثر رهافة وحساسية تلامس بذلك القلب وتشده إليه فتكون بذلك أشد وضوحا في تعبيرها وأكثر عمقا لاستظهار الواقع كونها حقيقة أبلغ من صورة الرجل، كذلك نجد المرأة قادرة على أن تستقطب بحساسيتها المتأنية واتزانها العاطفي مثل مجتمعا وتقاليد بجمع عناصره استقطابا يبلغ حد الثبات والتكرار".<sup>1</sup>

إن قضية المرأة كمضمون هي من القضايا التي فرضت نفسها بقوة ووضوح في الأدب العالمي، وهذا منذ تبلورت ملامحه وأصبح يساير الحضارة الإنسانية وذلك حول الدور الذي لعبته المرأة عالميا وتاريخيا، إذ نجد الكاتب والناقد الانجليزي جون راكسين يقول "إن حب المرأة عند شكسبير هو ينبوع الحياة والجمال وبدونها تصبح الحياة غير ذات معنى، والحب من أول نظرة نداء الجمال"<sup>2</sup> كما أكد الكثير من النقاد والفلاسفة أهمية المرأة ودورها الفعال في الكثير من الأشياء سواء تعلق ذلك بالأدب أو التاريخ أو غيره فقد غيرت مسار الحياة كونها هي الحياة، فقد شغلت المرأة حياة الشعراء في مختلف عصور الأدب ولا عجب في ذلك، "فهي الركن الثاني من أركان بناء المجتمع، وهي نصف الرجل، وتتمام عيشه وحياته، يكمل بها ما ينقصه من بهجة وسعادة، وهي مبعث الرضا والغضب والفرح والترح، وهي معينه وإلهامه، إنها منبع أغراض الشعر، وأحد أهم العوامل التي أنطقت الرجال به، فكم من شاعر ألهبت المرأة عواطفه وشكلت خياله، وكم من شاعر هيمنت المرأة على كثرة شعره، وما ذلك إلا أن المرأة هي أجمل موضوع في نظر الرجل".<sup>3</sup>

<sup>1</sup> ينظر: عبد الحفيظ بن جلولي: الهامش والصدى، قراءة في تجربة محمد مفلح الروائية، دار المعرفة الجزائر، 2008م، ص 50، 51.

<sup>2</sup> نبيل راغب: موسوعة الأدب العربي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 2002م، ص 340.

<sup>3</sup> جمال زاهر: شعر الوأواءالدمشقي، دراسة فنية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، ط2، 2007م، ص 37.

## الذيل الثاني: تجليات الرطب في الرواية

والمرأة في الأدب تلعب الدور البارز والمهيمن حيث تسلط عليها الأضواء لكشف القيم، إذ أنها تعتبر المخلوق الضعيف بسبب طبيعة تكوينها فجعلها الكاتب يصفها على أنها محط دائم للاستغلال، لهذا فهي نادرا ما تستطيع الصمود أمام عوامل الفساد.

إذا فالكتابة عن المرأة إضافة متميزة للأدب كونها صادقة وامتلاكها للأدوات التي تساعد على ذلك، ووضوح الهدف والرؤية التي تميزها عن باقي الكتابات، وغالبا ما يميز الكتابة عن المرأة في الإبداع والصدق الأدبي في معالجة الموضوعات والقضايا الحساسة، وأهم القضايا خاصة ما يسلبها حقها ويحط من قيمتها فلا تكاد تميز في كثير من كتابة المرأة السردية والشعرية بين الذاتي والموضوعي، إن عملية الإسقاط والتداخل الملتبس بين الشخصية الروائية، القصصية، وبين الساردة (الرواية) الكاتبة، بميزان عمل المرأة الكاتبة...

وأن المرأة لا تميل إلى التقليد، إلى الالتزام بالمعايير والحدود اللازمة للجنس الأدبي شكلا ومضمونا، فالمرأة الكاتبة تنطلق من ذاتها لا من المعايير.<sup>1</sup>

وعليه تعد قضية المرأة محورية في كتابات المرأة محورية في كتابات المرأة لاعتبارات منها: كون المرأة تكتب عن موضوع لصيق بها ويشكل محور كينونتها، كيف تفكر، كيف تحس، ما ينتابها شعور باليأس والإحباط أو الرضا عندما تصطدم بسلوك معين... ما تطمح إليه من آمال وما ترغب في تحقيقه لذاتها، وكون المرأة تكتب عن قضية تنهك وتثقل كاهل المجتمع وتضعفه وتبدد مجهوداته، كما أنها قضية مفتعلة وجانبية تمتص الكثير من جهد الإنسان في المجتمع وتخلق صراعات هامشية بين الجنسين المرأة والرجل.<sup>2</sup>

فالمرأة في الأدب محور ثنائي سواء كانت موضوعا أو إنتاجا، وهذا لكون طبيعتها الشفافة الخالية من الرؤية الإيديولوجية النفسية أو الأنانية الذاتية فهي موضوع منصف من طرف عادل لكفتي النثر والشعر فهي مصدر تغنى بها الشعراء وسيرت به المجتمعات نحو

<sup>1</sup> محمد معتصم: المرأة والسرد، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط 1، 2004م، ص 133.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 235.

## الذئد الثاني: تجليات الوطن في الرواية

آفاق جديدة، رغم كل ما عانتة في التقدم إلا أنها ظلت متشبثة بالأمل وها قد حصل ما أرادت.

أما في ما يخص طبيعة علاقة المرأة بالوطن فقد شكلت المرأة هاجسا كبيرا في الأدب العربي سواء النثري أم الشعري، فالمرأة اعتبرت من مظاهر الحنين للمكان وهذا راجع لذلك التأثير الذي يبعثانه كل من الوطن والمرأة المتمثل في الحنين والشوق إليهم، "ومن هنا اتخذت المناصرة من المرأة وسيلة لتحقيق أهداف بعيدة عن العلاقة الطبيعية فجعلنا بديلا عن الوطن، أسقط عليها عواطفه، ومشاعره، فالمرأة عنده محملة بدلالات إشارية ورمزية تبرز الإحياء الوطنية والتاريخية، والحضارية فالمناصرة يريد أن يجعل من المرأة أداة فنية يستطيع من خلالها أن يعبر عن رؤيته ومعانيه لفقده وطنه".<sup>1</sup>

فحضور المرأة في الكتابات الأدبية بكثرة وبشكل ملفت فقد جاءت صورة المرأة متحدة مع الأرض والوطن، فتصبح (الأرض، الوطن) المرأة التي يحن إليها الكاتب ويتشوق لرؤيتها، فالمرأة في الوطن هي الحرية والديمقراطية وهذا ما يجسده نزار قباني في شعره فهي تعد: "رسالة ووعيا بكائن بشري مظلوم على امتداد تاريخ الكون... المرأة هي الوطن والحرية والديمقراطية... هي السياسة".<sup>2</sup>

من جهة أخرى، توحى المرأة على أنها دلالة مجازية تبسط يدها لمعالجة قضايا وطنية وأخرى إقليمية لتبرز نفسها على أنها تمثل الثورة والحرية والديمقراطية، فقد لعبت المرأة دورا فعالا لمحاربة الاستعمار والحقيقة أن مكانة المرأة في الوطن لا تقف كونها عاملة فقط أو ربة منزل بل تعدتها لتصبح بذلك المرأة هي الوطن" فهي الأمة بكاملها باعتبارها الوعاء الذي ضمن استمرارية وجودنا كأمة منذ أقدم العصور وإلى اليوم وغدا، فالمرأة كانت

<sup>1</sup>زيد محمد، ارحيمة الخوالة: صورة المكان في شعر عز الدين مناصرة، ص 154.

<sup>2</sup>التهامي الهاني: الوطن والمرأة في شعر نزار، دار صامد للنشر والتوزيع، ط 2، 2004م، ص 75.

## الخصال الثاني: تجليات الوطن في الرواية

دائماً ترمز إلى العرض والشرف والأصالة، والمرأة الجزائرية كانت دائماً على موعد مع التاريخ، فقد ناضلت بعنف وقاومت بشجاعة وتفان وإقدام".<sup>1</sup>

ولكن نجد في بداية الرواية أن الراوي أو البطل طارق يصف المرأة بقبر الوطن أن الوقوع في أحضان حبه ليس سوى بداية نهايته أو حياته فيخاطب القارئ بلهجة التتبيه فيقول: "أما أنا ففكرت أن أفتح عليك عزيزي القارئ، كل الحقائق وأرميك بكل النيران كي تفلت من السقوط شهيدا وتنضم لقبري كي نصنع معا وبجدارة مقبرة جماعية للوطن والحب والأحلام وسقوط النظام".<sup>2</sup>، فمن خلال كلامه نستشعر خيبات أمه والحب الذي ضاع منه فيصالح الحب الذي عاشه والمرأة التي أوقعته في شباكها على أنها ساحرة أو مشعوذة قد سلبت منه كل ما يعرف ويريد فقط في لحظة لم يكن يعرها انتباهه، "ابدأ بالحب، ذلك المارد الذي يأتيك دون ترتيب غير آبه ببرنامجك، ولكن للحب منطقته الخاص"<sup>3</sup>، كما يجد في المرأة ملاذ الأخر للهروب من أحضان امرأة أحبها واستوطنت قلبه وجعلها وطن فقد حاول جاهدا نسيان حبه لها بشتى الطرق والأساليب حتى أزيز الرصاص كما قال لم ينفع معه، ولو مات شهيد الوطن في فلسطين ستظل ابتسامتها لا تفارقه فهي في نظره المكان الذي ينتمي إليه ويحيا فيه فيقول: "كنت أظن أن أزيز الرصاص سينقذني من مقصلة غرامها وسيخرس في أذني إلى الأبد صوت كلمات الحب والعشق على دروبها أو إن رصاصة ستسقطني شهيدا قبل أن أكون شهيد العرب في فلسطين ... لكنني كنت مخطئا فالى اليوم وغمزت عينيها العجريتتين".<sup>4</sup>

<sup>1</sup> محمد الشريف عباس: كفاح المرأة الجزائرية، دراسات وبحوث الملتقى الوطني الأول حول كفاح المرأة، دار هومة، ط2، منقحة ومزيرة، ص 20.

<sup>2</sup> مراد الضفري: الوطن ليس هنا : سوما أكرم، 121 زنقة دولوسبيليطال - الصخور السوداء، الدار البيضاء، المغرب، 2014، ص 10.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 10.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 11.

## الخصلة الثاني: تجليات الوطن في الرواية

فالوطن في نظر الكاتب هو المكان الذي يستوطن الإنسان وليس العكس وقد انعكس ذلك في قلب طارق العاشق الذي كان يبحث عن وطنه في وسط أزقة الشوارع وبين المارة إلى أن لفتت انتباهه شقراء الوطن بابتسامتها عند رؤيتها لأول مرة فيقول: "بدأ قلبي يخفق بشدة وكأنه ينتفض رافضا أن تغادره هذه الفتاة"<sup>1</sup>، فقد شكلت المرأة عند الكاتب هاجسا كبيرا في كونها، الوطن الغائب، والذي يبحث عنه الجميع فاعتبرها جسرا يصل بين الوطن وعينيها فيقول: "شعرت أن كل الأصوات صمتت بداخلي وأن عينيها تجاهلتنا كل الحضور لتحققا فيها بإمعان وكأن جسرا معلقا يمتد إلي من عينيها يمر عليه سحرها وجمالها الفاتن"<sup>2</sup>، وهذا تصريح مباشر على أن عين المرأة كقيلة بوضع جسر في حياة الرجل فما بالك لو اجتمعت ككل فتنشكّل وطنه كاملا، كما نجد تلميحا من الكاتب حول عدم استقرار الوطن في قلب طارق وهذا على كثرة وجود المرأة واختلافها في حياته فهناك من جعلها هي وطنا في قلب طارق وأخرى تمنحه الوطن نفسها وهو يرفض ونجد في ذلك في المرأة اليهودية أماليا التي منحته حياتها ووهبته نفسها لأجل أن يستوطنها حب طارق فقد أرادت التخلي عن كل شيء باسم الحب فتقول: "المشكلة فيك إنني يا طارق وليست في أنا مستعدة أن أحرق علم وطني أمامك وأن أنكر يهوديتي فقط من أجلك، من أجل الحب لكن أنت، هل تستطيع أن تقدمني لأهلك كزوجتك المستقبلية؟ هل تستطيع أن تنجب مني أبناءك؟ هلى ستنسى يوما واحدا أن أبناءك ذاتهم يحملون دم عدوك؟

أبدا لن تستطيع"<sup>3</sup>.

فشبه الكاتب المرأة بالملكة ولا يحق لأحد تولي عرش حكمها إلا من تحب لذا فقد كان وجودها من أسباب الحياة والوجود في هذا الكون الفسيح وهو يعتبر أيضا أن المرأة في حياة الرجل هي القانون الأساسي الذي يترتب عليه مبادئ الوطن والوطنية فيمزج بين ذلك

<sup>1</sup>مراد الضفري: المصدر السابق، ص 25.

<sup>2</sup>المصدر نفسه، ص 25.

<sup>3</sup>المصدر نفسه، ص 30.

## الذيل الثاني: تجليات الوطن في الرواية

الحب والفقدان فيقول: "زهرة هي العتبة التي لا بد أن تزهر عليها كل أيامي ويصبح للوطن معها ألف معنى، ولا وجود لي إلا عندما سأقول أحبك".<sup>1</sup>

وجعل هنا المرأة هي الوطن كله وأحقية وجوده في الحياة كما يجعل من أهم أسباب الحروب والنزاعات القومية والوطنية التي شهدتها التاريخ وعاشتها البشرية وتعود كلها لأجل كسب الفوز بالمرأة، لأنها في نظره هي فقط من تملك أحقية القتال والموت في سبيلها فيقول: "أما تلك الخصور التي تحكي في مشيتها تاريخاً من الصراع الأبدي بين عدوتين كلفنا البشرية سنوات ضوئية من الشعر والغزل والنكبات الرجولية، هل كان سيبقى للخصر إغراؤه لو وضعه الخالق في مكان آخر من جسد الأنثى".<sup>2</sup>، وهو ما دفع في قلوب الرجال، وحيث كان لها الدور الأساسي في بناء وتشديد المملكات والإمبراطوريات كالفارسية، واليونانية، كما كان في صراع طروادة، فكان المرأة في حياة الرجل هي وطنه وغيابها عنه تعني لا وجود له وقد أصبح يعيش ويتنفس لها فقط، "وكيف لي أن أنسى نرجس" يا طارق "أنت تعلم أنني صرت أطلالا من دونها".<sup>3</sup>

دون أن ننسى تذكره لوطنه من خلال وصفه لألوان وطنه التي تمثلت في الأحمر والأخضر فتارة لهما بدلالة وجودية للحياة وسيرها وأخرى دلالة للون علم وطنه فهو بذلك يصبغ وطنه بالمرأة في قوله، "كان كل شيء في عينيها يقول لي أنظر إليها حتى الأحمر على شفيتها يغريني بالخلود بين أحضانها".<sup>4</sup>، وأيضاً "كانت ليلى واقفة أمامي بوجهها العجري الجميل وقد لف جسدها ثوب سهرة أحمر اللون يفيض أنوثة وإثارة"<sup>5</sup>، وهذه إشارة بارزة من الكاتب على أن المرأة تمثل من الوطن في كيانها وقد أبرز ذلك من خلال تقاسيم

<sup>1</sup> مراد الضفري : الوطن ليس هنا، ص 51.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 52.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 127.

<sup>4</sup> مصدر نفسه، ص 65.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ص 84.

## الذئبل الثاني: تجليات الوطن في الرواية

وتفاصيل وجهها ولباسها فهي ستظل منبع السلام والسكينة كل هاته الفوضى في الأوطان،  
"متى كان الأحمر على جسد المرأة... راية سلام؟

-ستظلين واقفة؟ اجلسي.

-أنا أتيت للرقص معك، هيا انهض".<sup>1</sup>

وهنا تمثلت في كونها عازفة على الأوتار القومية والقضايا العربية التي تجتاح البطل طارق وتأرقه، فلولاها لما ركدت مياه العروبة في جوف طارق ولد الخيل وما ناضل لأجل قضيته فتحرير الوطن يكون في تحرير قيود المرأة وإعطائها حقها المسلوب والنظر إليها بعين الرحمة كما لها الحق في الحب واختيار شريك حياتها، "أتريديني أن أعود يا ليلي أريدك أن تعود إلي نهائيا... طارق ألا أستحق أن تعود من أجلي؟".<sup>2</sup>

ومن هنا يرتبط تحرير المرأة بتحرير الوطن: "فالتحرير لا يدعم حريتها الفردية واستقلالها الوطني لأن الوطن يبقى عاجزا دون مساندة نصفه الآخر، فتحرير الوطن لا يمكن أن يتم إلا من خلال تحرير نسائه".<sup>3</sup>

"لقد كان الروائيون واعين لارتباط حركة المرأة بالمجتمع من ناحية، ومن أخرى دلالة المرأة كرمز موح للتعبير عن الوطن، واستخدم الروائيون الرواد صورة المرأة أداة فنية للتعبير عن الأزمات التي يتعرض لها البشر".<sup>4</sup>

ويظهر ذلك جليا في قوله: "ما هو أكبر حلم لديك؟

<sup>1</sup>المصدر نفسه، ص 85.

<sup>2</sup>المصدر نفسه، ص 167، 168.

<sup>3</sup>وائل علي فالج الصمادي : صورة المرأة في روايات سحر خليفة، دار دروب للنشر والتوزيع ، عمان، دط، 2010م، ص 140.

<sup>4</sup>المرجع نفسه: ص 183.

## الذيل الثاني: تجليات الوطن في الرواية

التفتت إلي بلطف، ورسمت شفتاها ابتسامة جميلة وقالت:

"لو قلت لك ستستغرب، نحن في فلسطين يا طارق نعلم بأن يكون لنا بيت، بيت نشعر أنه لن يسرق منا في يوم ما".<sup>1</sup>

كما نلاحظ حضور المرأة وفق هذه الصورة على مستويين أولهما وهو الأشمل والأعم، مستوى وجودي ذاتي فيه نرى المرأة وطنا شديد الخصوصية نجدها ملاذا و ظلًا...، "يلجأ إليها الكاتب نتيجة لشعوره بالغرابة والحنين لوطنه، ويكمن ذلك في محاولته للتعبير عن لحظات العلاقة والحب القائم بينهما".<sup>2</sup>

ونرى ذلك في قوله :

"ربما لأنني أعيش في فوضى مستبدة بداخلي ترفض الخروج، طوقنتي بذراعيها الجميلتين والباردين لتحاصريني برفقتها التي تفشل في كل مقاومة على أساورها ثم قالت:

وأنا هل أعيش مع فوضاك أم خارجها؟

أنت الآن كل أسباب الفوضى التي أعيشها في حياتي .

أعشقتك أنا".<sup>3</sup>

<sup>1</sup>مراد الضفري، الوطن ليس هنا، ص 152.

<sup>2</sup> ينظر: مجموعة باحثين، منابع الشعرية عند الشاعر إبراهيم عباس ياسين، اتحاد الكتاب العرب دمشق - د ط، 2008م، ص 28.

<sup>3</sup>مراد الضفري: المصدر السابق : ص 70.

يعد المكان الإطار الذي تنطلق منه الأحداث، وتلعب فيه الشخصيات أدوارها بشكل فردي أو جماعي، فهو مرآة عاكسة للأحوال الاجتماعية والنفسية، فالشخصية لا تكتسب أهميتها إلا من خلال دمجها وتفاعلها مع المكان المتواجد فيه، فيتعدى بذلك المكان كونه فقط لوحة أو خلفية للأحداث بل يتجاوزه ليتفاعل مع الشخصيات والأحداث والزمن.

والواقع أن المكان والزمان عنصران متفاعلان لا يمكن عزل أحدهما عن الآخر، فإذا كان الزمن يمثل الخط الذاتي الذي تسير عليه الأحداث، فالمكان يصاحب هذا الخط ويحتويه وإذا كان الزمان يرتبط بالإدراك النفسي فإن المكان يرتبط بالإدراك الحسي وكثيرا ما يتفاعل الإدراك النفسي مع الإدراك الحسي ليشكل مأساة الذات، وصراعها مع الواقع.<sup>1</sup>

ويعد الوطن من الأمكنة التي مثلت هاجسا حقيقيا للروائيين واحتجوا على تدميرها فهو يحمل دلالات الانتماء والهوية ويمثلها الروائيون بذكر أمكنة يحن إليها أو تذكرهم بما هم عليه فتكون تلك الأمكنة على شكل مدن أو قرى أو شوارع وذلك حسب كل كاتب وتعبيره عن وطنه، فالمكان الواقعي مرآة تعكس فضاء المتخيل من خلال صورة الشخصيات والتي تنكشف من خلالها البعد النفسي والاجتماعي، فنجد الروائي يختار الأماكن التي تضيء على المحكي طابع الحقيقة والصدق، فالمحكي لا يكون إلا مقيدا بسمه المكان، وغالبا ما يرتبط هذا المكان إنطلاقا من الاستجابة النفسية والتواجد في محيطه، وبالتالي فالشعور الذي يتجلى حضوره في الفنان يترتب عليه بالضرورة تأثيره في القارئ.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> فريدة إبراهيم بن موسى: زمن المحنة في سرد الكاتبة الجزائرية، دراسة نقدية، دار صداء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2012، ص 112.

<sup>2</sup> عبد المنعم زكرياء القاضي: البنية السردية في الرواية: هين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية: بيروت، ط1، 2009، ص 138.

## الفصل الثاني: تجليات الوطن في الرواية

تجري أحداث رواية "الوطن ليس هنا" في عدة مدن وذلك راجع لتتقل البطل فيها وعدم استقراره في مكان محدد، ولكننا نلاحظ معظم الأحداث تدور في مدينة الرباط تلك المدينة التي شهدت الكثير من المتغيرات في حياة البطل التي دفعت بمشاعره المضطربة أحيانا للحنين إلى ماضيها، وأخرى إلى الهرب منها، فيقول "هاهي الرباط تستقبل يوما شتبريا جديدا بأنفاسها المثقلة بالضباب المتوالد على ضفاف أبي رقرق ومياه الأطلسي، ضباب كثيف يذكرني بالقتامة التي عاشت عليها أيامي الماضية، وبالمستقبل المجهول الذي ينتظرنى بانكساراته وهواجسه التي غطت تاريخي وجسدي، وما تزال".<sup>1</sup>، وهو كل ما يحمله البطل من خيبات الأمل ومن حزن في قلبه على مستقبله ومستقبل مدينته، وسرعان ما يتخذ لنفسه أن الوطن هو الانتماء والهوية القومية والعربية التي لن يتخلى عنها ولو كانت لأجل الحب، وكل هذا تعلمه من المكان الذي ولد وترعرع فيه؟، فيقول: "التاريخ والهوية والمبادئ وكل الأشياء التي ننتمي إليها تفرقتنا ولا تسمح لنا حتى بهذه اللحظة المسروقة من تاريخ أهلنا".<sup>2</sup>، وهنا يقصد أن مدينته تفرض عليه الوطنية وعدم قبول عربون السلام من شعب شرد ونهب ثروات شعبه، فطارق رغم كل أحلامه في الحب والرومانسية إلا أنه لم يتخل عن هويته العربية التي تعشش داخله وتوجج النار الدفينة فيه لتنتصر قضيته التي لطالما آمن بها وسيظل يقاتل لأجلها فإما ينتصر لها أو يموت دونها.

فمدينة الرباط تشكل في نفس البطل ذلك المكان الذي طالما أعاد له الرواح والحياة فهي رغم كل شوائبها ونقائصها إلا أنها هي من منحته الحلم والوقوف على ناصية المستقبل، فهو بذلك يحلم بازدهارها ورؤيتها على أفضل حال فيتغنى بليلها الأسود الذي يبعث في نفسه الطمأنينة فيقول: "أتأمل ليل الرباط المغربي، تثيرني هذه المدينة عندما تلبس سواد الليل، تظهر لي مفاتها الليلية كحورية بحر".<sup>3</sup>، لأن الوطن هو من يبعث في نفسه السلام الداخلي وهذا هو ما منحته له الرباط، كما سيمنحه الموت كذلك فاختيار مكان

<sup>1</sup>مراد الضفري: المصدر السابق، ص 12.

<sup>2</sup>المصدر نفسه: ص 29.

<sup>3</sup>مراد الضفري، المصدر نفسه، ص 76.

## الفصل الثاني: تجليات الوطن في الرواية

الدفن هو الوطن فلا أحد يحب أن يدفن في وطن غير وطنه، فيقول: "سأعود يا خليل ... سأعود، ولكن كن متأكدا أن قبري يوجد هنا في فلسطين".<sup>1</sup>، وهي إشارة من البطل أن فلسطين كذلك موطنه ويريد أن يدفن فيها، وأجيج ناره وولعة قلبه لم تمنعاه في متابعة قضيته حتى ولو كان الموت في سبيلها لأنه يعتبر عزة بلده والاستشهاد فيها حلمه، "منذ أن استقبلني خليل في إحدى بيوت عائلته الذي أقيم فيه، أنا أستيقظ على أمل خوض معركتي الأخيرة مع العدو الإسرائيلي".<sup>2</sup>، وهذا ما يبرز لنا حقائق التاريخ ومعرفة ما يجري في المدينة والوطن، حين قال الحرب قصة عجيبة حد الموت...، حتى ألق صالح: "الجهل والمرض حولتها الحرب إلى نتائج داخل تفاصيل الاحتلال الذي كان يبدو انهزاميا يوما بعد يوم".<sup>3</sup>

كما كان للفروقات الطبقة حضورها اللافت في روايته وهذا ليسط الضوء على هاته الطبقة من الناس على أنهم لا يرون في المدينة إلا اللهو والمجون والموسيقى فيقول: "أوصلتني سيارة الأجرة إلى مقدمة شارع النخيل، بحي الرياض، كانت الأضواء الزاهية تتراقص حول قاعة الحفلات القابعة بآخر الشارع، ومجموعة من الرجال مرتدين البدلات الأنيقة يتوافدون على باب القاعة".<sup>4</sup>، وهذا إن دل على شيء فهو يدل على رفاهية العيش في بعض المناطق عن غيرها في مدينة الرباط، كما أشار إلى فئة من الشباب الذي يعيش في وطنه على أنغام الضحك واللامبالاة فما يحدث حولهم في إشارة منه لعزوف الشباب عن قضايا الوطن، وما تحتاجه البلاد لتزدهر: "أيام قليلة حتى وجدتني مع زهرة في مدينة مراكش، نزل في فندق واحد أنا وهي وبقيّة أصدقائها في أول ليلة ... الذين يملؤون الجو صخبا بضحكهم وأصواتهم المزعجة".<sup>5</sup>، وفي نظر الكاتب هذا ما أوصل حال

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص 171.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 136.

<sup>3</sup> شاكر النابلسي: جماليات المكان في الرواية العربية، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1994م، ص 30.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 94.

<sup>5</sup> مراد الضفري: المصدر نفسه، ص 105.

## الفصل الثاني: تجليات الرطب في الرواية

البلاد إلى ما هي عليه الآن من الضياع والنتية في ظلام الفقر والتشرد الأخلاقي، وقد وصف فيها أن المدينة تعيش فوضى عارمة ودماء تسيل فيها لأجل المصلحة العامة لكن هياها هياها فهي الآن تمشي وسط طريق لا يعرف منه شيء ولا يدري إلى أين ستقوده هاته الأحوال والظروف: "ظللنا نمشي في شارع محمد الخامس الذي بدا لي وسط البرد القارص الذي يعم هذه المدينة الحمراء، طويلا وكأن لا نهاية له".<sup>1</sup>، وهذا ما يخيف البطل حول مستقبل مدينة مراكش والذي يبدو مخيفا وغير معلوم.

ولكن رغم سواد الليل وظلمته إلا أنه سيأتي فجر جديد يلقي بظلمته وراءه ويحل مكانه الأمل من جديد وذلك من خلال الشوق والحنين لمكان لطالما ارتعن ولعب فيه صغيرا فالوطن هو ذاك المكان الذي يحمل لك ذكرياتك ومشاعره فكما ابتعدت أكثر ستجد نفسك تحتاج جرعة من وطنك الأم.

"أطفأت حاسوبي وأحسست أنني بحاجة إلى هواء الرباط الطلق".<sup>2</sup>، "كذلك شوقا لحضنها ولو كان آخر شيء سيفعله "أحسست أنني بحاجة إلى معانقة هذه المدينة للمرة الأخيرة".<sup>3</sup>، فالكاتب يذكرنا بأن مهما بعدت عليك قرينك أو مدينتك ستظل تحن إليها وتحتاج إلى أن تحضنك بهوائها وشوارعها التي تحفظها عن ظهر قلب، وكان لا بد أن تعيش وطنا بحذافره وتعيشه يوما بيوم فأنت لا تدري ما يخبئه لك القدر في المستقبل، وهو ما تعلمه البطل من خلال رحلته: "تعلمت في غزة أن كل يوم جميل وهادئ قد يكون مشروعا ليوم صاخب بأزيز الرصاص".<sup>4</sup>، فنرى مدينة غزة تتأديه وتتأجيه على أن اللحم قد أصبح بيتا فقط وليس شيئا آخر، بيتا يأوي أولاده وينسج أحلامه فيه ذلك من هول الأحداث التي تحدث في غزة "ونحن في فلسطين يا طارق (...). أصعب شيء هو أن تبني بيتا لك، تجعله موطنا

<sup>1</sup>المصدر نفسه ، ص 105.

<sup>2</sup>المصدر نفسه، 132.

<sup>3</sup>المصدر نفسه، ص 132.

<sup>4</sup>المصدر نفسه ، ص 137.

## الفصل الثاني: تجليات الوطن في الرواية

وعشا لعائلتك، تنسج فيه وحوله الآمال والأحلام"<sup>1</sup>، وهي رسالة من الكاتب للضمائر العربية المبيتة، ليريهم كيف هو الحال في أناس تتمنى وجود بيت في غزة وهي أقصى ما يحلم بها كل فلسطيني شردته الحروب.

---

<sup>1</sup>مراد الضفري: المصدر نفسه، ص 153.

كان ولا زال الوطن المرتع الذي تصبو فيه النفس وتلجأ إليه وقت الحاجة والهرب من صخب الحياة وأينها، فاختلاف الأجناس والأعراق واللغات ليس له صلة بالوطن بل ما يجمعهم فيه هو أساس بنائه واستقراره: "اتجهت إلى مقهى يطل على المدرسة الوطنية الصناعية المعدنية، لم أكرث لاسم المقهى للوهلة الأولى بدا رواده مشتتي الفكر، يسبح كل واحد منهم في عالمه الخاص"<sup>1</sup>، لكن رغم اختلاف فكرهم إلا أن ما يجمعهم شيء واحد والمتمثل في وجود الراحة والنعيم فيها كما يوجد فيما يسمى بالوطن، "جلست أنا أيضا منضما إلى حجاج هذا المقهى على طاولة جانبية تتطلع إلى الرصيف"<sup>2</sup>، فعند التمعن فيها جيدا نلحظ أنها عملية تلقين الوطنية في نفوس الشباب من خلال اتباع من هم أكبر منهم درسا، وكان وجود الرصيف بمعنى سيرورة الحياة وتغيراتها التي تطرأ بجديد كل يوم، وهذا ما أراد الكاتب أن يركز عليه، على أن مغريات الحياة قد تقذف بك بعيدا عن وجهتك، والسكون الذي كنت تتعم به في وطنك الخاص، "رفعت عيني لأسقطها على منظر مجموعة من الطلبة يخرجون من باب المدرسة المقابل للمقهى (...). غابت عينا في تقاسيم وجهها وحركات جسدها النحيل الحيوي"<sup>3</sup>، وهو ما كان يخيف الكاتب أن يضيع الوطن ومعناه في قلوب الشباب بسبب ترف الحياة وملهياتها فالوطن بالشباب يزدهر وبدونهم ينفلت كما تنفلت الشعرة من العجين وقد يضيع ويصبح مجرد ذكرى يحكي الأجداد لأحفادهم عنها.

كلمة الشوق والحنين مرهونة بالكامل بما نحب ونفندق، والوطن أحد هاته الأمور التي نحن إليها من حين لآخر سواء لبعدنا عنه أو حنينا لماض كان فيه ولم يعد "فلتأخذني لمقهانا القديمة أوديسا، ساحة الأمم المتحدة حركت رأسي موافقا وسعادتي ظاهرة على محياي"<sup>4</sup>، ومنه نستخلص أن العودة للماضي والحفاظ على التقاليد والأعراف يرسم في

<sup>1</sup>مراد الضفري: المصدر نفسه: ص 24.

<sup>2</sup>المصدر نفسه، 24.

<sup>3</sup>المصدر نفسه، ص 25.

<sup>4</sup>المصدر نفسه، 47.

## الذئد الثاني: تجليات الوطن في الرواية

شفاهنا البسمة، وذلك أن الوطن مازال حيا داخلنا، ولم يمت بل علينا فقط زيارته من الآخر، كما أنه يشاركك تفاصيل حياتك بطلوها ومرها فلا تبخل عليه بشيء فقط كن معه ليكون معك وهذا في قوله: "أريد أن أعتنم الفرصة لأتجول على بعض المحلات برفقتك، لنلتقي إذن في أكدال، مقهى ألفيري ما رأيك؟"<sup>1</sup>، وهو أن المكان يمنح لك الحرية والاختيار فلولا استشعار طارق بحريته في المقهى لكان الموعد في مكان آخر وهذا ما يعطيه لك الوطن المستقل، إلى تلك الأمكنة التي تبعث في النفس الراحة والاستجمام ماهي إلا سوى أوطان صغيرة ترتب الأفكار وتضفي عليه الحياة والسعادة فكلما كان لهاته الأمكنة وجود أكثر زاد استقرار النفس وأحقية وجودها في الكون والعيش "قررت أن أمشي في هذا المطر ... ألتحف رائحة التراب وأرافق قطراته في سيلها، قصدت مقهى ستيامار، جلست على المقعد الذي اعتدت الجلوس"<sup>2</sup>، وما يربط الوطن إلا الذاكرة فلا وجود له من دون ذاكرة تربطك به فما يحمله الإنسان من ذكريات هي كلما يجمعك بالوطن الذي تحب.

"جلست صباح ذلك اليوم على رصيف مقهى ستيامار التي أجلس بها كل يوم منذ أن قطنت بهذه المدينة العجوز الرباط. قبل ست سنوات"<sup>3</sup>، الحرية التعبير، الرأي، هي كلمات مرهونة في الغالب بقضايا وطنية وأخرى قومية فالوطن الذي تجد فيه حريتك وتبدي رأيك دون خوف وتعب عما تشعر به هو فقط من يحق أن نسميه بالوطن "وان انتهى اليوم دون اشتباك مع العدو ألجأ إلى مقهى أبو منصور حيث أشارك الغزيين أحاديثهم المسائية"<sup>4</sup>.

فالوطن ليس احتكارا لأحد وحريتك لا تعني أن تدوسي على حرية غيرك، بل عليك مشاركته مع من تحب ومع الجميع وهذا ما يجعل الألفة بينكم ويزيد العلاقات تماسكا فيما بينها، وتذكر الماضي ما هو إلا استرجاع لوطن أصبحت تفنقه وبشدة، فخاصية الذاكرة

<sup>1</sup>مراد الضفري:المصدر نفسه، 65.

<sup>2</sup>المصدر نفسه، ص 116.

<sup>3</sup>المصدر نفسه، ص11.

<sup>4</sup> المصدر نفسه ، 136.

## الفصل الثاني: تجليات الوطن في الرواية

تحمل في طياتها حلاوة الحياة ومرارتها فإن كان شيء جميلاً ستنشق إليه وإن كان مريراً ستحمد الله على نهايته ويتجلى ذلك في قوله: "كم اشتقت لهذه الفتاة ولحقن الحب التي تعطيني إياها كل صباح في مقهى ساتيامار كي أوصل أيامي دون الشعور بالوحدة"<sup>1</sup>، فالإنسان منذ ولادته يحب بيته وأهل بيته وذلك لما يرى من حاجته إليهم واستمداد بقائه منهم وما البيت إلا الوطن الصغير وكذلك هنا المقهى وطن صغير في نظر طارق وذلك لما تحمله نفسه من مشاعر وذكريات فيها ونجد هذا المفهوم أكثر في قول محمد المليي "شعر بالحب لكل من يجد فيهم صورتهم الإنسانية وكانت الأرض كلها وطناً له، وهذا هو وطنه الأكبر فلا يعرف ولا يحب الوطن الأكبر إلا من عرف واجب الوطن الكبير، ولا يعرف ولا يحب الوطن الكبير إلا من عرف وأحب الوطن الصغير"<sup>2</sup>.

تغادر الأحلام لتترك الإنسان وهو يجر معه خيبات الأمل التي كانت تستفزه يوماً فيلجأ بذلك إلى الوحدة والانعزال في وطنه الخاص لأن الوطن الكبير قد قتل فيه كل أمل الأحلام وتحقيقتها، وهو ما بدا ظاهراً في وجه طارق فيقول " مضيت وأنا أجر ذبول خيبيتي إلى رصيف المقهى المجاور للمدرسة أشجب جبني وضعفي أمام أمواج الحب"<sup>3</sup>، غير أن الشعور بالوحدة ليس هرباً من شيء، فقط هو في نظر البطل الراحة من إنكسارات الوطن الذي لم يبخل عليه بطعنات الدهر، فيغدو الترفيه عن النفس من أسباب الانتعاش من جديد في هذا الوطن المغتصب، وذلك في قوله: "وزعت نظري على المارة على أمل أن أقتل خيبيتي وأنا أسلي عيني بجمال الفتيات اللواتي كن يقطعن رصيف المقهى"<sup>4</sup>، فتشارك المكان، والأشخاص في حياة الإنسان من أهم أسباب السعادة والنعيم في كل الأوطان، كما في المقابل نجد أن ما يربطك بوطنك هو تلك الأمكنة والأشخاص سواء كانت ذكريات جميلة أو العكس، ولكنها هي كل ما يجمع بينكما، وهي ما يسمى بالوطن "لا أريدك أن

<sup>1</sup>مراد الضفيري: المصدر السابق، ص 166.

<sup>2</sup>محمد المليي: ابن باديس وعروبة الجزائر، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007م، ص 174-175.

<sup>3</sup>مراد الضفيري: المصدر نفسه، ص 51.

<sup>4</sup>المصدر نفسه - ص 52.

## الفصل الثاني: تجليات الوطن في الرواية

ترحل يا طارق أن يغادر فرد مثلك هذا الشعب (...). مأساة جاءتني كلمات ليلى مرتبكة  
وحزينة ونحن جالسان في مقهى مطار محمد الخامس بالدار البيضاء".<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup>مراد الضفيري: المصدر السابق، ص 133.

إن حب الوطن عاطفة إنسانية نبيلة تجعل الإنسان مستعد للتضحية بحياته من أجل الوطن فإن فقد الوطن تصير حياة الإنسان بلا قيمة.

كذلك هو الحال بالنسبة لطارق فهو يعيش على أنقاض وطن لم يعد يعرف فيه شيئاً يعيش حالة من عدم الاستقرار في عالم أصبح ظالماً مستبداً لا يعترف إلاّ بظالميه فقط، وهذا ما انعكس على شخصية طارق فهو يعيش غربياً في أرضه أو أنه أصبح مجبراً على العيش تحت رحمة قانون لا يعترف بك إلا في الورق: "أي وطن هذا الذي لا يعرفني بكومة من الورق !! ترى هل يملك حاكم البلاد بطاقة وطنية".<sup>1</sup>

كما يشير على أن الوطن أصبح مجرد حلم وأسطورة لا وجود لها في الأصل فيقول: "الوطن هو ذلك الكائن الأسطوري "الخرافي" الذي يسكننا عوض أن نسكنه"<sup>2</sup>، فالحرمان والضياح هو ما يشعر بهما طارق في أرضه حتى صارت أحلامه تتلاشى أمامه دون أن يحرك ساكناً سوى أنه يجد نفسه منتقلاً بين الماضي والحاضر، لعله يجد فيها ما يضيء لحياته شيئاً: "لا يمكنني أن أصير كاتباً وأنا أعيش في وطن غائب على الرصيف أسير، أأغار من محطة إلى أخرى مثقلاً بكل حقائق الماضي الثقيلة وحقائب المستقبل التي تنتظر أن تمتلئ على غفلة مني".<sup>3</sup>

عندما يصبح الوطن هو العائق الوحيد في حياة الإنسان فلا تنتظر أن يتحقق فيه شيء أو يصعد على إنجازات أفراد فقط، هو لا يبالي بأفراده وهذا ما عاشه طارق في بلده فهو لم يعد يرى لنفسه وطناً: "لا أستطيع فكرة الوطن والاستقرار بالأمكنة التي تتبعها فكرة الإنجازات، ماذا أنجزت في حياتي يا ليلي؟".<sup>4</sup>

<sup>1</sup> مراد الضفري: المصدر نفسه، ص 12.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 12.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 42.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 89.

## الذيل الثاني: تجليات الوطن في الرواية

"لا شيء كل أحلامي تبعثرت كأوراق خريف رقصت بها الرياح (...). لذلك فأنا لا وطن لي ... لا وطن لي"<sup>1</sup>، وما أصعب الشعور أن تفقد وطنك وأنت فيه وهو ما شعر به البطل في حياته بالمغرب.

أجمل شيء في حياة الفرد أن يبني بيتا ويكوّن لنفسه عائلة فيكون له وطن صغير يحميه ويتربع على عرشه ولكن أصعب اللحظات أن تفقده سواء كان ورحل أو لم يأت من الأساس وهي نفس مشاعر طارق بعد عمر طويل، فهو يفتقد للوطن الصغير والكبير : "خمس وثلاثون سنة من العمر، هذا هو الرصيد الوحيد الذي أملكه في الحياة، حياة من الحرمان والمعاناة"<sup>2</sup>، ويتحدث الكاتب عن تجربة اجتماعية كان بطلها طارق وهي حالة من مئات أو آلاف الحالات التي يعيشها الفرد المغربي خاصة والفرد العربي عامّة وسط بلده.

عندما يصبح الوطن هو الوجه الآخر للعشق يحضر بحضوره ويغيب بغيابه فقط سندرك أننا نعيش في وطن العشق، وهذا ما أخبر به طارق عشيقته زهرة فيقول : "اسمي طارق ولد الخيل" وهذه اللحظة التي أعيشها الآن انتظرتها زمنا طويلا"<sup>3</sup>، فهو بذلك يعبر على أنه كان فاقدا لنفسه وينتظر اللحظة المناسبة التي أراد عيشها بفارغ الصبر، فهو ككل المغاربة الحالمين بميلاد وطن جديد مع ميلاد فجر حب جديد الذي سينقذهم من هذه الألقاض ويعيد لهم الوطن المفقود فيعبر في ذلك بقوله:

"وهاهو أحمد منكسر، ككل الشباب المغاربة، ككل أولئك الذين حلموا بوطن آخر ذات صباح من شهر فبراير، شهر الأحلام والآمال المتكسر"<sup>4</sup>، وذلك حال كل مغربي يفتقد لوطنه في أمل أن يلاقيه يوما ما.

<sup>1</sup>مراد الضفري: المصدر نفسه، ص 89.

<sup>2</sup>المصدر نفسه ، ص 12.

<sup>3</sup>المصدر نفسه ، ص 57.

<sup>4</sup>المصدر نفسه ، ص 120 ، 121.

## الفصل الثاني: تجليات الوطن في الرواية

يعيش الإنسان ليحلم بوظيفة وزوجة ووطن يعيش فيه لينعم بالسلام وهي أشياء متأصلة في كل البشر، ولكن أن تفقد الأمل في الحلم وأن لا تحلم هذا شيء يقتلك، وأنت على قيد الحياة وهي تجربة عاشها بطلنا طارق وندم عليها فيقول: "أشعر بندم كبير أنني قرأت في أيام الثانوية عن شخص اسمه غيفارا، لقد أربك هذا الرجل معادلتني في الحياة، جعلني أعيش أحلاما طوباوية، آمنت بتغيير العالم والثورة على الظلم".<sup>1</sup>

نعم هذه حقيقة بلداننا العربية تعيش في حلم وإذا بك ترتطم بجدار الواقع المرير الذي يطفئ كل شموع مستقبلك الحالم، ولكن هذه ليست مشكلة طارق الذي يحلم فكل فرد يحلم بهذا فتقول له ليلي: "لست وحدك يا طارق كلنا أخفقنا، كلنا بنينا وطنا جميلا أيام الجامعة متناسين أن هناك وطنا حالما وقاسيا"<sup>2</sup>، و " هذا الوطن له أحلام أخرى (... ) ليست على مقاسنا "<sup>3</sup>، يتحدث طارق عن خيبة أمله في هذا الوطن والرحيل عنه هو ملاذ الأخير أن يرحل بعيدا عن أحلامه وكل شيء، فيقول: "أقيم دستورا لا يعرف تاء التأنيث

ولا نون النسوة

أعلن ميلاد أحزاب ووطن جديد يسكنني...

أريد للفوضى من جديد أن تعمني

أن يأتي دكتاتور آخر ليحكمني"<sup>4</sup>

كلمات تخرج من صدر أثقل بخيبات الأمل وكل أحلامه التي كانت في كون المرأة خلاصه الوحيد ولكنه أصبح يفتقد كل شيء في الحياة، وما أقساه من شعور، شعور فقدان

<sup>1</sup>مراد الضفري: المصدر نفسه، ص 90.

<sup>2</sup>المصدر نفسه، ص 90.

<sup>3</sup>المصدر نفسه، ص 90.

<sup>4</sup>المصدر نفسه، ص 117.

"قف على ناصية الحلم وقاتل".<sup>1</sup>

ما أجمل أن تقاثل لأجل قضية نبيلة وليس هناك أنبل من القضية العربية القومية، القضية الفلسطينية، القتال لأجل وطن مسلوب وطن فقد في قلوب الكثير من العرب والمسلمين، لكن طارق ما زالت عربيته ونخوته تشعلان فتيل نيرانه والفوز بقضيته فيقول: "كي أغادر هذه الدنيا وأنا مدافع عن مبادئ: فلسطين والوحدة العربية، فلسطين هي دائما بوصلة القوميين العرب".<sup>2</sup>، ويقول هذا هو يذكر الأمة العربية أن فلسطين هي القضية التي توحدهم ودونها هم فقط خراب، كما يصفهم بالجبن ويصف نفسه بالشجاعة يقول: "أنت يا خليل تصارع الموت لتبقى أطول وقت ممكن جنب زوجتك وأولادك، أما أنا فأصارع الموت ليدفنني في هذه الموت العطرة".<sup>3</sup>

فريما جمال هذه الأرض لن يعود كما كان ستبقى فقط صور وذكريات، سيبقى منها فقط الآثار والخراب، فتقول سلوان لطارق: "أشفاق لتلك الطاولة التي كنا نتقاسم عليها فنجان القهوة (...). بالأمس ذهبت أبحث إن كانت لا زالت سليمة، لكنني وجدتتها محترقة وأشلاء فناجين القهوة حولها (...). حتى فناجين قهوتنا كسرت يا طارق"<sup>4</sup>، فيحاول طارق تضميد جراحها بأنه سعيد لها ما فقدت فيقول: "سنضع طاولة جديدة يا سلوان ونشرب فوقها الآلاف من فناجين القهوة"<sup>5</sup>، لكن سلوان تعلم جيدا أن الأمر ليس بهذه السهولة لأنها تعي جيدا أن ما فقدت في فلسطين لن يسترجع إلا عندما تحيا الضمائر العربية فتجيبه: "لا تقل كلاما لا تؤمن به يا طارق (...). أنا أعرفك حزينا أكثر مني ويملكك الضياع".<sup>6</sup>

<sup>1</sup>مراد الضفري، المصدر نفسه، ص 50.

<sup>2</sup>المصدر نفسه، ص 170.

<sup>3</sup>المصدر نفسه، ص 170.

<sup>4</sup>المصدر نفسه، ص 153.

<sup>5</sup>المصدر نفسه، ص 153.

<sup>6</sup>المصدر نفسه، ص 153.

تغيب الملاجئ وتختفي الموانئ فلا سبيل يحملك ويؤنسك في هذه الحياة سوى هجرة ملاذها البعد عن أحبتك وأهلك فتفتقد لجلساتهم وضحكاتهم ولكن ستجد وسط غربتك أشياء فقدتها في بلدك، فدائماً ما ترتبط الهجرة بالمنفى، والبعد عن الوطن، ولكن هل هي حقاً ما نريد:

"أكان يعرف أن شمعته ستنطفئ وهو وحيد منفي مصحات أمريكا ؟ أكان يعرف أنه سيصير عظاما تدفن في أرض لا تترف فوقها راية فلسطين المحرر؟"<sup>1</sup>

وهذا ما حصل عليه محمود درويش كما قال طارق الذي يعتبره قدوته في قضية فلسطين، فالهجرة في نظره الوقوف على ناصية الحلم والقتال من أجلها ولكنه يخاف أن يكون مصيره غير بعيد عن مصير درويش فيقول: " أن نحقق مشاريعنا وأحلامنا في الحياة أو نعيش على شحها وكأننا طالبوا لجوء"<sup>2</sup>.

تحمل الهجرة في طياتها البحث عن وطن جميل يحمل أحلامك وأهدافك في الحياة فهي مرهونة دائماً بالإحساس الذي يتبع الأفراد الذين يرون أنهم فوق الوطن الذي يعيشون فيه ولا بد من الهجرة إلى وطن يتسع لهم لتحقيق ما يريدون، فليست هي ترتبط بالنفى دائماً والتشرد والتهجير، بل عكس ذلك فمن كان ذو تفكير إيجابي فهو يبحث لذاته العلو والسمو بها فإن لم يكن في وطن ولد فيه سيكون في وطن هو من يختاره بإرادته "الأزلت تعتقدين أنه بإمكاننا أن نحلم في هذا الوطن"<sup>3</sup>.

وهذا ما يؤكد طارق على أن الحلم لن يتحقق هنا بل في الهجرة.

<sup>1</sup>مراد الضفري: المصدر نفسه - ص 9.

<sup>2</sup>المصدر نفسه، ص 9.

<sup>3</sup>المصدر نفسه ، ص 14.

## الذيل الثاني: تجليات الوطن في الرواية

فكرة الأوطان والبيوت ليست بالضرورة دائما ترتبط بمكان ولادتك، أوسكن أهلك بل هي في الواقع ترتبط كليا بمكان تجد فيه راحتك، ومبتغاك فإن لم يكن في بيتك أو وطنك راحة فالهجرة واسعة وأرض الله كبيرة: كما قال : "الرحيل وحده سيمنحني حماما ساخنا أتخلص بواسطته من وحل العثرات وفشل كل أحلامي وقضاياي"<sup>1</sup>، نعم نعيش في وطن لا يؤمن بحرية الفرد ولا يراعي مشاعره وأحلامه حتى تصل بهم للظلم، والاضطهاد في حق الضعيف لكن قال تعالى : "(إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَ مَقَامًا)"<sup>2</sup>

ص 97 (سورة النساء: الآية)

وهو ما آمن به طارق وأخذ نصيبها منها فلم يعق تقدمه نحو حلمه شيء فقرر الهجرة لبيني وطنا جديدا يؤمن به ويحقق فيه مراده، فهو يعلم أن الانتظار لن يمنحه شيء، وخاصة في وطن لا يؤمن به ولا بغيره ونرى ذلك في قول أستاذه محمد فيقول : "نحن جميعا ناضلنا من أجل هذا الوطن وضحيننا بكل شيء في سبيله، أعتقلنا شردنا وعشنا لسنين طويلة على الحديد (...). لكن من الخطأ أن تنتظر من هذا الوطن أن ينصفك وأن يكافئك على كل ما فعلت هذا الوطن لا يعلق الأوسمة إلى على صدور سارقيه ولا يوزعها إلا على أولئك الذين حولوه إلى بقرة حلوب لا تنتظر شيئا منه، عش بأحلامك كاملة لا ببقاياها فقط"<sup>2</sup>، وهو وصف لحال البلاد وما آلت إليه وأن من عليه اتباع حلمه ما عليه سوى بالهجرة، وذلك ليعيش هو وحلمه معا.

الإيمان هو ما يبقي الإنسان حيا ما يبقيه يواصل طريق حلمه ويسعى جاهدا نحوه فلو غاب الإيمان غاب معه كل شيء، أن تؤمن بأن مكانك ليس هنا ليس بين هؤلاء فهذا ليس هربا بل هو ثقة في ما تريد حقا، وعدو الإيمان هو الخوف وهو ما جعل طارق يحسد الطيور لإيمانها فيقول: " أنا أحسد الطيور المهاجرة يا ليلي أعشق تجاوزها لفكرة العش و

<sup>1</sup>مراد الضفري: المصدر نفسه ، ص 118.

<sup>2</sup> المصدر نفسه ، ص 49.

## الذيل الثاني: تجليات الوطن في الرواية

الوطن لماذا لا تؤمن الطيور المهاجرة بفكرة الأعشاش والأوطان<sup>1</sup>، فالطيور المهاجرة تؤمن بفكرة أن الوطن هو ما يحركك وليس ما يقيدك الوطن هو ذلك المكان الفسيح الذي يسعه قبول حزنك، فرحك وطموحك، يسعك أنت كاملا بكل ما فيك وهو ما يؤمن به طارق ولد الخيل ففكرة الهجرة تعشش داخله حتى من حوله يعرف ذلك : تقول ليلي : "ألن تتغلب على فكرة الهجرة و المغادرة التي تمتلكك يا طارق ؟"<sup>2</sup>.

فالنجاح والإنجاز يلانزمان الزمان والمكان، وكل ما يتحقق سيبقى خالدا في الأذهان ويذكره الوطن على جدران من يفتخر بهم، وإن كان العكس موجود، فما هي إلا إشارات على بلد لا يؤمن برجاله، ولا يريد له المستقبل، فقط العيش على أنقاض الماضي، ومن خالفها فليس له مكان في وسطهم، فيقول: "ليس ذنبنا أننا حلمنا يا طارق، ذنبنا أننا نعيش في وطن لا يؤمن بالأحلام، وطن كان يتمنى أن يصادر الحق في النوم فقط كي لا نلطم"<sup>3</sup>، وما أصعبه من شعور أن يجد الإنسان نفسه عالة على غيره، على أهله، على حلمه، فقط لأنه يعيش وسط وطن لا يهيمه الفرد أعاش أو مات فذلك لن يفرق عنده بشيء.

القتال لأجل قضية أجمل شيء سيحدث، فماذا لو كانت هذه القضية هي فلسطين، هي غزة أرض الأنبياء والمرسلين، نعم سيهاجر إليها كل من استوطنت قضيتها قلبه، فهي الوطن الثاني في قلب كل مسلم.

"وما أجمل الرحيل عندما تكون الوجهة أرض فلسطين، أوركسترا الرصاص وملحمة النضال القومي العربي"<sup>4</sup>، هكذا كانت كلمات طارق قبل رحيله فهو يرى في قضية فلسطين أهم قضية عنده لأنها أول قضية قد لا يخسرها في حياته من بين كل القضايا التي كان

<sup>1</sup>مراد الضفري، المصدر نفسه ، ص 89.

<sup>2</sup>المصدر نفسه ، ص 89.

<sup>3</sup>المصدر نفسه ، ص 89.

<sup>4</sup>المصدر نفسه ، ص 118.

## الفصل الثاني: تجليات الوطن في الرواية

الانهزام حليفه، فيقول: "أنت مخطئ يا خليل (...). أنا أتيت إلى فلسطين لأنها آخر قضية لم أخسرها أتيت إلى هنا كي أنتصر لنفسي التي هزمت في كل معارك الحياة".<sup>1</sup>

فخسارة قضية من قضايا الحياة هي خسارة وطن كما يراها طارق لذا فهو يرى هجرته لفلسطين آخر وطن تبقى له ليعيش ما تبقى من عمره ويموت على اثر قضيته التي بقيت له، هاجرت أوطاننا في ذواتنا لكن تناسينا ذلك الوطن الذي يسكن داخلنا ولكن لم نشعر به، الوطن الذي سيحملك ويظل ينتظرك أن تهاجر إليه يوما ما وهو ما تناساه طارق وهو يركض خلف وطنه الذي يبحث عنه وهو كان قريبا منه دائما، ولكن لم يشعر به إلا بعد تجربة فاشلة فيقول له خليل : "وطنك ليس هنا وطنك ليست هي أحلامك التي فشلت، وطنك هو القلب الذي يحبك وليس الموت والرحيل"<sup>2</sup>، وهي كلمات تبعث الحياة في جسد المتوفى، ولكن ذلك الذي يعرف قيمتها.

<sup>1</sup>مراد الضفري، المصدر نفسه، ص 170.

<sup>2</sup>المصدر نفسه، ص 170.

### الوطن الحب :

الجميل في الحب هو أنك ستعيش للأبد وهو دائما ما يقترن بعلاقة ازدواجية سواء بين العشيقين أو الوالدين مع الأبناء، وما أعظم حب الوطن فهو يحمل الإثنيين معا، فالوطن هو ذلك الحب الذي يحمله الإنسان في قلبه سواء لشخص أو مكان وهذا ما شعرت به ليلي عندما أحببت طارق فتقول: "أنا يا طارق مصابة بعسر الهضم لهذه الحياة وأنت دوائي الوحيد فيها"<sup>1</sup>، نعم يعد طارق هو أملها الوحيد في النجاة من عاصفة الحياة، فمملكة الحب لا تؤمن بفكرة الاختلاف، بل هي ترسو على مبادئ القلب فقط، فالحب يستوطن القلوب ويعيش بين ثناياها.

"ما ذنبي إن كنت إسرائيلية وأحبك يا طارق ؟ هل نملك أن ننتقي مسبقا من نحب ؟ هل أملك أن أشرط جنسية الرجل وديانته قبل أن أحبه ؟"<sup>2</sup>، هي كلمات أماليا لطارق تخبره أن أعظم وطن لها هو الحب وليس البلد أو الديانة أو غيرها فتقول له بكل شجاعة "أنا مستعدة أن أحرق علم وطني أمامك، وأنكر يهوديتي فقط من أجلك من أجل الحب"<sup>3</sup>.

الوطن صغير إن قارناه بمكان أو شخص سنقتل فيه حقه الذي منح له لأنه أكبر من أن يكون مجرد حيز صغير، فهو أعظم من ذلك، الوطن هو دلالة الاستيطان، وهو فعل خال من كل الكراهية بل في مجمله يعني الحب، وهذا ما أجابت به سلوان طارق عندما أردا أن يفارقهم: "بيت واحد لا يكفيك (...). أنت تسكن كل البيوت، ولن تكفيك إلا كل أرض فلسطين"<sup>4</sup>، ما أعظمها من كلمات توحى بأن قلوب كل الفلسطينيين تحمل طارق داخلها فما أجمله من وطن.

<sup>1</sup>مراد الضفري، المصدر نفسه، ص 23.

<sup>2</sup>المصدر نفسه، ص 29.

<sup>3</sup>المصدر نفسه، ص 30.

<sup>4</sup>المصدر نفسه، ص 172.

## الفصل الثاني: تجليات الوطن في الرواية

يرتبط الوطن بالحياة عند الكثير من الناس ولكن الحياة لها ثمنها عبر كل زمن واختلاف ثمنها راجع لاختلاف الفكر في كل الأزمنة إلا الحب الذي لم يتغير بل هو حاضر في كلها وهو يستحق التضحية لأجله، هكذا كانت كلمات عزيز لطارق: "لا شيء أثنى من الحب الحقيقي في الحياة، صدقوني إنه يستحق أن تناضل من أجله مهما كانت الفاتورة باهضة".<sup>1</sup>

يصير الحب أحيانا آخر شيء تفعله في الحياة لإنقاذ ما تبقى منها أو على الأقل ترميم تلك الانكسارات والإخفاقات التي واجهتنا طيلة الزمن فيرى طارق في عشيقته زهرة ملاذه الأخير: "لا يمكن أن أتخيل نهاية لعلاقتي مع زهرة، فهي آخر مشاريع الحب في بناء قصور وردية على شاطئ أمواج الحياة القاسية".<sup>2</sup>

كما يتضح لنا أن طارق مستعد للتضحية بكل شيء لأجل إنجاح قصة حبه التي لم تبدأ بعد وهذا فقط لأجل إرساء سفينة الأحلام الضائعة منذ سنوات، "قررت أن أعمل بنصيحة ليلي وأستاذي محمد، سأقاتل من أجل أمل في قصة حب نسجت خيوط بدايتها يوم رأيت تلك الشقراء"<sup>3</sup>، هكذا كانت كلمات طارق وكأنه يقول أن الحب هو الأمل له في الحياة، فقد كان له السبب في عودته للطريق وبناء وطن جديد عنوانه هو الحب.

ويعود إليه الحماس والنشاط بسبب الحب فيقول: "أتيت بحماسة وكم كبير من الشجاعة لأمسك يد تلك الفتاة الشقراء وأحكي لها عن مشاعر الحب التي احتلت قلبي بسببها"<sup>4</sup>، عادت إليه الروح بعدما نبض قلبه بالحب فأراد التملك على عرش العشاق.

كلما زرعت أكثر حصدت أكثر هكذا أشار الكاتب في قصص الحب وأنه لا بد من أن تزرع لوطنك لينبت على خيرة رجاله وهكذا تكملت بالنجاح قصة منار وعزيز فنقول

<sup>1</sup>مراد الضفري، المصدر نفسه، ص 102.

<sup>2</sup>المصدر نفسه، ص 82.

<sup>3</sup>المصدر نفسه، ص 50.

<sup>4</sup>المصدر نفسه، ص 50.

## الفصل الثاني: تجليات الوطن في الرواية

منار: " فاخترت أن أغادر البيت حاملة حقيبتني إلى بيت عزيز الذي ارتبك في البداية لكنه كان مقتنعا أن هذا هو الحل الوحيد لنجاح حينا".<sup>1</sup>

فليس كل مكان هو الوطن، وليس الراحة أين ما وجدت هي بيتنا، بل غياب الحب يعني غياب كل شيء.

يقول درويش:

"تكبر... تكبر"

فمهما يكن من جفاك

ستبقى بعيني ولحمي ملاك

وتبقى كما شاء لي حينا أن أراك

نسيمك عنبر

وأرضك سكر

وإني أحبك أكثر".<sup>2</sup>

فها هو درويش يتغزل بحب وطنه ويعبر عن مشاعره، وكأن كل شيء بعده هلاك، فيصف حبه على أنه بعينه ملك.

لقد وقف الكاتب في مزج صورة الوطن مع الحب واستطاع من خلال مشاعر طارق أن يرمز للحب على أنه الوطن في نفسه وهذا ما اكتشفه طارق في حبه لزهرة فيكشف لها:

<sup>1</sup> مراد الضفري: المصدر نفسه، ص 102.

<sup>2</sup> محمود درويش: ديوان محمود درويش: دار العودة - بيروت، لبنان - ط13، 1989م، ص 243.

## الخصل الثاني: تجليات الوطن في الرواية

يعني أنني متورط فيك وليس لي على الحب والقلب من رقيب، يقول محمود درويش: "الحب مثل الموت، وعدٌ لا يرد ولا يزول".<sup>1</sup>

فدرويش يتقاسم الحب والوطن مع طارق ولهما نفس التفكير فيقول طارق: "ترعرعت على كلماته وتقاسمت مآسيه في الحب والوطن".<sup>2</sup>

من أكبر أسباب الحياة هو وجود الحب فهو يمنح الإنسان القوة في لحظات الضعف وهو الملجأ بعد كل الانكسارات، فلا سبيل يدعو للحياة إلا الحب.

وهذا ما دفع طارق للتساؤل حول تضحية منار لأجل قصة حبها: "كيف لفتاة في عمر الزهور أن تضحى بكل شيء فقط من أجل رجل تحبه؟ كيف تضحى بوالديها وعيشها الرغد من أجل قصة حب"<sup>3</sup>، تساؤلات عديدة اجتاحت طارق ليجد الإجابة تتبعه إلى فلسطين: "أتاني صوت ليلي الذي رفض رحيلي ليتبعني إلى فلسطين... وهو دائما على استعداد أن يتبعني حيث رحلت"<sup>4</sup>، فطارق يعلم مدى حب ليلي له ولن تتخل عنه بسهولة لأنه وطنها الخاص بها، إلا أنه لم يقتنع بعد حتى يصعق برد نجيب ليخبره أين يجد وطنه المفقود: "أتعلم أنت غني يا طارق تمتلك ثروة كبيرة، لكنك لا تنتبه لما تملكه، أولا تريد أن توجد فتاة تحبك بكل هذا الجنون الذي أعرفه في ليلي تلك أعظم ثروة يمكن لرجل أن يملكها... وطنك هو القلب الذي يحبك وليس الموت والرحيل".<sup>5</sup>

هكذا كانت كلمات نجيب لطارق حول ما يملك ولكنه لا يراه وهذا يعود لبحثه عن شيء يفتنقه وهو لا يرى ما حوله

<sup>1</sup>مراد الضفري: المصدر نفسه، ص 63.

<sup>2</sup>المصدر نفسه، ص 63.

<sup>3</sup>المصدر نفسه، ص 103.

<sup>4</sup>المصدر نفسه، ص 140.

<sup>5</sup>المصدر نفسه، ص 170.

خاتمة

بعد مد وجزر وأخذ وعطاء في ميدان النصوص الروائية والسردية كان للرواية أثر كبير في نفوسنا كأى رواية من الروايات وهذا ما يميّز به الخيال الفني والجمالي في هاته النصوص، فلم تخل رواية "الوطن ليس هنا من تشويق وخيال وإثارة أمدتنا بالكثير خصوصا في نظرتنا الجديدة لكلمة الوطن وهو ما كان عنوانا لدراستنا التي استخلصنا منها جملة من النتائج نذكرها كالآتي:

1- يعد موضوع الوطن من أهم المواضيع وأكثرها حساسية في مجتمعنا العربي وذلك لكونه أكبر المشاكل التي تؤرق الفرد العربي وتأكل تفكيره بالحلم بوطن أزهى وأرقى يوفر له كل متطلبات العيش.

2- تختلف الرؤى حول الوطن وماهيته وذلك باختلاف الأماكن والأديان والأجناس.

3- لقد حقق الكاتب جملة من الأفكار السائدة في المجتمع المغربي وصورها بشكل درامي مبدع.

4- يعد الحب من أهم الأدوات الفنية والإبداعية التي شكل بها الكاتب مراد أفكاره، وضمناها في قوالب عدة منها السياسية وأخرى اجتماعية، وذلك لأهمية الحب في حياة الأفراد والمجتمعات.

5- تقوم الرواية على التداخل الزمني بين الحاضر والماضي، وقد كانت على شكل متقارب وهي وصف لتلك العلاقات التي كانت ولا تزال.

6- بروز اللغة الشعرية بقوة وهو ما يدل على تمكن الكاتب من ناحية الألفاظ وغزارتها، كذلك نلتمس وجود تجربة عميقة عنده.

7- كتبت رواية "الوطن ليس هنا " على جدار الصراع الإيديولوجي والطبقي في معظم أحداثها وشخصياتها المتميزة بالتطرف الفكري والعقائدي والديني.

## خاتمة

- 8-تأسس النص السردي في الرواية على جدلية الصراع الفكري والسياسي، ممزوجا بالثورة والحب.
- 9-التنوع في الشخصيات الثانوية وذلك لإبراز الشخصية الرئيسية بشكل أكبر وهذا لتداخل أحداثها مع باقي الشخصيات الثانوية، التي لا تقل قيمة وأهمية عن الشخصية الرئيسية.
- 10-حضور لافت للتنوع المكاني في الرواية من بين مكان مفتوح وآخر مغلق وهذا ليكشف الحالة النفسية للبطل في المكان، فتارة تصبو راحته في المكان المغلق وتارة أخرى في المكان المفتوح ناهيك عن وجود الثورة والنضال الفكري أو النفسي في المكان المفتوح.
- 11-تمثل المرأة الصورة الأكثر بروزا وأهمية من خلال الرواية والتي استعان بها الكاتب لتدل على الوطن.
- 12- نجد أن الحب أخذ نصيبا وفيرا في رسم معالم الوطن والوطنية لدى الكاتب.
- 13- ترتبط الحرية في نظر الكاتب بالهجرة وذلك لما تحمله من آمال في تحقيق الأحلام والأمنيات .
- 14- الفرد العربي فقد إيمانه بالوطن لأنه سلب منه كل ما يريد وجعله يفكر فقط في كيفية العيش .

# قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم رواية حفص

المصادر:

مراد الضفري: الوطن ليس هنا: سوما كرم، 121، زنقة دولوسبيطال، دار البيضاء، 2014م.

المراجع:

1. إبراهيم أمين الزرزموني: الصورة الفنية في شعر علي الجارم، دار قباء للطباعة.
2. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 2003م، ج 13، مادة صور.
3. أبو بكر الرازي، مختار الصحاح، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيد، تحقيق، يوسف الشيخ، ط5. 1999.
4. أحلام مستغانمي: ذاكرة الجسد، دار الآداب، بيروت، ط15، 2000م.
5. أحلام مستغانمي، عابر سرير، منشورات أحلام مستغانمي، بيروت، لبنان، ط2، 2003م.
6. أحمد زكي بدوي، معجم المصطلحات السياسية والدولية، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1989م.
7. أميرة حلمي مطر، مقدمة في علم الجمال، القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع.
8. إميل حبيبي: المتشائل، دار ابن خلدون، بيروت، ط2، 1989م .
9. بتصرف: مجموعة باحثين، منابع الشعرية عند الشاعر إبراهيم عباس ياسين، اتحاد الكتاب العرب دمشق، د ط، 2008م .
10. بدري عثمان، بناء الشخصية الرئيسية في رواية نجيب محفوظ، ط1، بيروت، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، 1986م.

## قائمة المصادر والمراجع

11. بشري محمد صالح: الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، لبنان، 1994.
12. تسعديتايتحمودي: أثر الرمزية الغربية في مسرح توفيق الحكيم، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1986.
13. تمام حسن: الأصول، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1990.
14. التهامي الهاني: الوطن والمرأة في شعر نزار، دار صامد للنشر والتوزيع، ط2، 2004م.
15. ثريا العسيلي: أدب عبد الرحمان الشرقاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1995.
16. جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، القاهرة، دار المعارف، 1973م.
17. جمال زاهر: شعر الوأواءالدمشقي، دراسة فنية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، ط2، 2007م.
18. جميل صليب، المعجم الفلسفي، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، 1994، ج 2.
19. جميل فتحي الهمامي -باحث في الحضارة العربية، مدونات الجريدة 18،05،2018.
20. حسين بحراوي، بنية الشكل الروائي: الفضاء، الزمن، الشخصية، ط1، الدار البيضاء، المركز الثقافي، العربي.
21. حلمي بدير: الاتجاه الواقعي في الرواية المعربية في مصر، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1981.
22. خليل شكري هياس: القصيدة السير ذاتية، بنية النص وتشكيل الخطاب، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010م.
23. الرازي: محمد بن أبي بكر: مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ج20، 1992م.

## قائمة المصادر والمراجع

24. عبد القادر الرباعي : الصورة الفنية في شعر أبي تمام، نشر بدعم جامعة اليرموك إربد، الأردن، ط1، 1980.
25. رشيد بن مالك: السيميائية السردية، مجدلوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1 2009، ص 81.
26. الزمخشري: الكشاف.3.
27. زيد عبد الكريم الزيد، حب الوطن من منظور شرعي.
28. زيد محمد: ارحيمة الخوالدة: صورة المكان في شعر عز الدين مناصرة.
29. زيد مطيع دماج: الرهينة، دار الآداب، بيروت، ط1، 1984م.
30. ساسين سيمون عساف: الصورة ونماذجها في إبداع أبي نواس، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، لبنان، 1982.
31. سامي عياد حنا: كريم زكي حسام الدين، نجيب جريس: معجم اللسانيات الحديثة.
32. سعيد حسن البحيري: علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، مكتبة لونجمان، القاهرة.
33. سمر روجي فيصل: بناء الرواية السورية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1995م.
34. سيزا أحمد قاسم: بناء الرواية (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ): الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط1، 1984.
35. شاعر النابلسي: جماليات المكان في الرواية العربية، دار الفارس للنشر والتوزيع - الأردن، عمان - ط1، 1994م.
36. الشريف الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1993م.
37. شعبان عبد الباري: التذوق الأدبي (طبيعته، نظرياته، مقوماته، معايير، قياسه)، دار الفكر ناشرون وموزعون، ط3، عمان، الأردن، 2010.
38. صلاح عبد الفتاح الخالدي - نظرية التصوير الفني عند سيد قطب - الفنون المطبعية - الجزائر - 1988 .

## قائمة المصادر والمراجع

39. بشرى موسى صالح: الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، بيروت ط1 1994م
40. ضياء غني لفته: سردية النص الأدبي، دار الحامد للنشر والتوزيع الأردن 2011م
41. الطرابلسي أحمد: تحليل الخطاب الشعري.
42. الطيب الصالح: موسم الهجرة إلى الشمال، دار العودة، بيروت، ط13، 1981م
43. عبادة كحيل: عن العرب والبحر، ط1، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1989م.
44. عبد الحفيظ بن جلوي: الهامش والصدى، قراءة في تجربة محمد مفلح الروائية، دار المعرفة الجزائر، دط، 2008م.
45. عبد الحق بلعابد: عتبات جبرار جينت من النص إلى المناص، منشورات الاختلاف الجزائر العاصمة، ط1، 2008م.
46. عبد الرحمان بدوي، الزمان، الوجودي، ط2، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1955م.
47. عبد الفتاح عثمان، بناء الرواية، دراسة في الرواية المصرية، مكتبة الشباب المنيرة، القاهرة، 1982م
48. عبد القادر الرباعي: الصورة الفنية في شعر أبي تمام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، 1999.
49. عبد الله محمد حسن: الصورة والبناء الشعري، ط دار المعرفة، مصر.
50. عبد المنعم زكرياء القاضي: البنية السردية في الرواية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط1، 2009م.
51. عبد المنعم زكرياء القاضي، البنية السردية في الرواية: هين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية: بيروت، ط1، 2009.
52. عز الدين اسماعيل: الأدب وفنونه (دراسة ونقد)، دار الفكر العربي، القاهرة، ط6، 1976.

## قائمة المصادر والمراجع

53. عز الدين جلاوجي: سلطان النص، دراسات في روايات، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر العاصمة، د.ط، 2008م.
54. علي البطل: الصورة في الشعر العربي، دار الاندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1938.
55. علي آية أوشان: السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1، 200م.
56. عن ريتا عوض بنية الشعر الجاهلي، ط1، 1994.
57. غادة السمان، ليلة المليار، منشورات غادة السمان، akhwia.net، 1986م.
58. غسان كنفاني: عائد إلى حيفا، منشورات الرمال، بيروت، ط1، 2013م.
59. فان ديك: النص بنياته ووظائفه، مدخل أولي إلى علم النص.
60. فريدة إبراهيم بن موسى - زمن المحنة في سرد الكاتبة الجزائرية، دراسة نقدية، دار صداء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2012.
61. قدامة بن جعفر، نقد الشعر، القاهرة، المطبعة المليجية، 1935م.
62. لسان العرب مادة
63. مارتن هايدغر: اللغة أخطر النعم ضمن كتاب اللغة، ت محمد سبيلا عبد السلام، دار تويقال، المغرب، ط1، 1994.
64. محمد الشريف عباس: كفاح المرأة الجزائرية، دراسات وبحوث الملتقى الوطني الأول حول كفاح المرأة، دار هومة، ط2، منقحة ومزيرة.
65. محمد الصفراني: التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث (1950، 2004) النادي الأدبي بالرياض، والمركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2008م.
66. محمد الصفراني: التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث.
67. محمد الماغوط: سأخون وطني، دار المدى للنشر والتوزيع.
68. محمد الميلي : ابن باديس وعروبة الجزائر، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007م.

## قائمة المصادر والمراجع

69. محمد جابر عبيد: سوسن البياتي، جماليات التشكيل الروائي، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط1، 2012م.
70. محمد خليف خيضر: سلطة الإبداع الأنثوي في الخطاب النسوي، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1912.
71. محمد شكري: الخبز الحافي، دار الساقى، بيروت، ط6، 2000م.
72. محمد صابر عبيد: المغامرة الجمالية للنص السير ذاتي، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط1، 2011م.
73. محمد صابر عبيد: سيمياء الموت، تأويل الرؤيا الشعرية، دار نينوى للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2010م.
74. محمد كامل الخطيب: تكوين الرواية العربية، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1990.
75. محمد معتصم: المرأة والسرد، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1، 2004م.
76. محمد يوسف نجم: فن القصة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1959.
77. محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي.
78. محمود درويش: ديوان محمود درويش: دار العودة - بيروت، لبنان - ط13، 1989م.
79. محي الدين صبحي: البطل في مآزق، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1979.
80. محي الدين صبحي: دراسات ضد الواقعية في الأدب العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1980.
81. مصطفى الضبع، استراتيجية المكان، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، أكتوبر 1998م.
82. معجم اللغة العربية القاهرة، المعجم الوسيط، دار الدعوة، ج2.
83. ملاح في الرواية السورية.
84. منير سلطان: الصورة الفنية في شعر المتنبي، منشأ المعارف، الاسكندرية، 2002.

## قائمة المصادر والمراجع

85. نبيل راغب: موسوعة الأدب الفكري، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 2002م.
86. واسيني الأعرج، أنثى السراب، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2010م، ص 215.
87. وائل علي فالح الصمادي ، صورة المرأة في روايات سحر خليفة، دار دروب للنشر والتوزيع، عمان، دط، 2010م.
88. يوسف وغليسي: الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض بحث في المنهج إشكالية إصدارات رابطة الإبداع الثقافة، الجزائر، 2000، ب ط.

1. أدولف إرمان: ديانة مصر القديمة، ترجمة، عبد المنعم أبو بكر ومحمد أنور شكري، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987م.
2. أدوين موير: بناء الرواية: ترجمة، ابراهيم الصيرفي، الدار المصرية للتأليف والنشر القاهرة، 1965 م.
3. بورنوف/ أوئييلية، عالم الرواية، ترجمة: نهاد التركي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد 1990، م.
4. تشارلسمورجان: الكاتب وعالمه، ترجمة شكري عياد، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1964.
5. جون لاينز: اللغة والمعنى والسياق ، ترجمة د\_عباس صادة الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، العراق، ط1، 1987.
6. جيلبير دوران: الأنثروبولوجيا: رموزها أساطيرها وأنساقها، ترجمة، مصباح الصمد، ط1، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1991م.
7. دياز فايز: فن كتابة الرواية، ترجمة:عيج الستار جواد، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1987م.
8. رولان بارت: مدخل إلى التحليل البنيوي للقص ، ترجمة : منذر عياش 1993م.
9. غاستونباشلار: جمالية المكان، ترجمة : غالب هلسا، ط3، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1987م.
10. غراهام هو: مقالة في النقد، تر: محي الدين صبحي، المجلس الأعلى لرعاية
11. مكبلشآرشيبيالد: الشعر والتجربة، ترجمة سلمى الخضر الجويبيسي، مراجعة توفيق صايغ، دار اليقظة العربية، بيروت، ص77 بتصرف.
12. يوري لوتمان، مشكلة المكان الفني: ترجمة، سيزا قاسم "ألف" مجلة البلاغة المقارنة، القاهرة، الجامعة الأمريكية، ع، 6 ربيع، 1986م.

المجلات :

1. الآداب الأجنبية: (مجلة فصلية) يصدرها اتحاد كتاب العرب، دمشق، العدد3، ديسمبر 1977م.
2. صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، ع164، الكويت، 1992.

البحوث الأكاديمية :

1. حسينة فلاح: الخطاب الواصف في ثلاثية أحلام مستغانمي، رسالة ماجستير، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، كلية الآداب والعلوم الإنسانية 2009.
2. خصيوي حامد محمد: الصورة الفنية في شعر صقر الشبيب، ماجستير، جامعة شرق أوسط.
3. نجاح عبد الرحمن المرزاق: اللون ودلالته في القرآن الكريم، جامعة مؤتة، رسالة ماجستير، قسم أدب عربي، 2010م.

الملاحق

### نبذة عن الكاتب:

ولد بالدار البيضاء في عام 1985، ولكنه ترعرع في مدينة طنطان في عمق الصحراء في محيط حساني محافظ وفي نفس الوقت منفتح على الثقافات الأخرى الأمازيغية والتوارقية، والأوروبية، حاصل على شهادة الإجازة في العلوم الاقتصادية، سنة 2006م، من جامعة ابن زهر بأكادير، ثم على درجة الماجستير في الاقتصاد، والهندسة المالية، عام 2011م، من جامعة حسن الأول، بمدينة سطات.

يعمل موظفا في قطاع وزارة الطاقة بالعاصمة الرباط، بدأ المسار الأدبي من خلال مشاركات شعرية، وكتابات سياسية خلال فترة الدراسة الجامعية، قبل أن يخوض تجربة الكتابة الروائية، ونشر أول رواية له بعنوان الوطن ليس هنا، سنة 2014م، شارك في ندوات وفعاليات ثقافية في المغرب وخارجه، وله مقالات ومشاركات علمية أدبية في مجموعة من الصحف المغربية والأجنبية.

عضو مؤسس في حركة المثقفين الأحرار بالمغرب، ويتولى حاليا مهمة المنسق الوطني للحركة، وهي حركة ثقافية تدعو إلى الإصلاح الثقافي والفكري، ونشر ثقافة النقد والتنوير.

### ملخص الرواية:

رواية الوطن ليس هنا للكاتب المغربي "مراد الضفري" تطرح بواسطة سرد رومنسي وفلسفي، فالكاتب يسأل ماذا يعني لنا الوطن؟ هل يقتصر فقط على ذلك الحيز الجغرافي الذي تصنعه لنا الخريطة؟ كيف نؤمن بكيان لا مرئي هلاميا نبادله ذلك الإلتناء الكبير؟ أم أنّ علاقتنا بالوطن أختزلت في أوراقنا الثبوتية وبطاقات الهوية؟

بطل الرواية "طارق" يدور في هاته المتاهة، وي طرح كل هذه الأسئلة الوجودية، فهو الشاب المغربي الحالم بالقومية العربية، القادم من جراحات الماضي المؤثث بالنضال الجامعي والاعتقالات والأحلام، يستنفذ كل آماله وأحلامه في حياة ووطن يلقيان به يعيش حياة تائهة غير مستقرة تؤرقها أزمة وجود وإثبات للذات.

يتذكّر آخر قصة حب عاشها مع فتاة تسمى "أماليا"، التقى في إحدى المعارض الفنية، حيث أحبها منذ اللحظة الأولى عاش معها ثلاث سنوات من الحب قبل أن يكتشف جنسيتها الإسرائيلية وديانتها اليهودية، وبصفته يهتم بقوميته حد الموت، قرر التخلي عن حبه، لأنّ وطنها آذى وطنه، وأرض فلسطين التي يعشقها كثيرا، و"ليلي" التي تعرّف عليها في جامعة محمد الخامس وجعلها صديقة له ورفيقة دربها في محطات كثيرة، حيث تقاسم معها الأحلام والانكسارات، والنضال ولحظات العشق الحميمي، كانت ليلي تأسر طارق بجمالها الطبيعي، ويتخذ من مكتب الجريدة ملاذا للعمل ويلتقي خبر من مدير الجريدة يوصيه بتغطية صحفية لإحدى احتجاجات الفبراريين بالرباط، لكن القدر يضعه فجأة في طريق قصة حب جديدة قد تصالحه مع ذاته ومع الوطن، لتدفعه لنسج أحلام جديدة، "زهرة" تلك الفتاة الجامعية الشقراء التي أحبها طارق ظنا منه، أنه وجد وطنها معها، ووجب عليه أن يتخلص من ماضيه، ويعيش حاضره مع "زهرة"، لكن حب زهرة لم يصلح ذاته معها، بل أصبح يقاوم مغرباتها وفلسفتها البرجوازية، هذا الحب الذي تحول إلى حرب ماضٍ مصارع

## الملاحق

لحاضره، وهذا ما جعل طارق يفكر في الهجرة والبحث عن وطن يحتويه حينما فشل في الحب مرتين، وقرر الذهاب لفلسطين وحمل السلاح ضد الغاصبين، مساندا للرفاق كما يدعوهم، وكما دعتة فوضى ذاته ومعضلة البحث عن الوطن، رحلة من جاهلية الوثن إلى جهاد الوطن وأحاديث رفاقه بأرض فلسطين وتطلعهم لوطن حر في أحلامهم، غادر وطنه وترك أحلامه خلفه بجروح من عشق إلى وطن يتحول جسده إلى غيبوبة موت، وطنين رصاص هو ملاذه في أن يسقط شهيدا في أرض الأنبياء، هناك وجد الفتاة "سلوان" التي وقف الوطن ضدها سدا منيعا بسبب وطنها الجريح والمحتل فكل شاب تحبه يغادرها إما للشهادة أو يرحل لاجئا أو هاربا من الموت، الفتاة ليلي الحاضر الغائب بالرواية، كانت دائمة الاتصال بطارق تدعوه للعودة لوطنه المغرب بعد أن أخذ طارق شوطا من مسيرته في أرض تمنى أن تكون أرضا للخلاص فقرر طارق العودة للأبد إلى "ليلى" التي أعطته كل شيء حياتها وانتظارها ليتم الكاتب الجزء الثاني من حلقة الوطن بروايته "أنتي أو لا وطن"

# فهرس الموضوعات

الموضوعات..... رقم الصفحة

مقدمة..... أ

الفصل الأول: الصورة الروائية وبعض المصطلحات ..... 6

المبحث الأول: مفهوم الصورة وقيمتها:..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرفة.

الصورة لغة:..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرفة.

الصورة اصطلاحاً:..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرفة.

مفهوم الصورة في القرآن الكريم:..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرفة.

مفهوم الصورة الروائية أو الصورة السردية:..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرفة.

أهمية الصورة الروائية ودورها في إيضاح دلالة النص: خطأ! الإشارة المرجعية غير معرفة.

المبحث الثاني: معايير الصورة الروائية..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرفة.

1- السياق والنص:..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرفة.

أ. السياق التداولي..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرفة.

ب. السياق الإدراكي أو المعرفي..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرفة.

ج. السياق النفسي الاجتماعي..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرفة.

د. السياق الاجتماعي..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرفة.

هـ. السياق الثقافي..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرفة.

2- الطاقة البلاغية أو الخطاب البلاغي:..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرفة.

المستوى الأول..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرفة.

المستوى الثاني..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرفة.

المستوى الثالث..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرفة.

3- دينامية التخيل: ..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرفة.

المبحث الثالث : دلالات الصورة الروائية..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرفة.

1- اللغة:..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرفة.

أ.السر ..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرفة.

ب. الوصف ..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرفة.

ج. الحوار ..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرفة.

2- الشخصية..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرفة.

أ.بناء الملامح الخارجية للشخصية ..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرفة.

ب. بناء الملامح الداخلية..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرفة.

3- المكان:..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرفة.

المبحث الرابع: الوطن في الرواية العربية ..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرفة.

1-تعريف الوطن..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرفة.

مفهوم الوطن في اللغة:..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرفة.

مفهوم الوطن في الاصطلاح:..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرفة.

وفي معجم المصطلحات السياسية الدولية:..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرفة.

2-صورة الوطن في الرواية العربية..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرفة.

المغرب العربي: (الجزائر، تونس، المغرب)..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرفة.

بلاد الشام..... 47

الفصل الثاني : تجليات الوطن في الرواية ..... 52

المبحث الأول : شعرية السيمياء في الرواية ..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرفة.

سيمائية العنوان ..... 52

سيمائية الغلاف ..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرفة.

الغلاف الأمامي ..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرفة.

سيمائية الإهداء ..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرفة.

المبحث الثاني: تمظهرات صورة الوطن في الرواية..... 62

الوطن المرأة ..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرفة.

الوطن المدينة ..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرفة.

الوطن المقهى ..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرفة.

الوطن المفقودة ..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرفة.

الوطن الهجرة..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرفة.

الوطن الحب ..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرفة.

خاتمة..... 92

قائمة المصادر والمراجع..... 95

الملاحق..... 105

فهرس الموضوعات.....

سُبْحَانَكَ يَا حَمْدُ اللَّهِ

## الملخص:

تهدف هذه الدراسة لتسليط الضوء على الصورة الروائية وأهميتها في الأدب وذلك من خلال تطبيقها على نموذج سردي يتمثل في رواية الوطن ليس هنا للكاتب مراد الضفري دراسة تحليلية، فتناولنا في البداية تعريف الصورة الروائية ودلالاتها في النص والسياق، وكذلك إلى ذكر أهم صور الوطن والتي تمثلت في المرأة والمكان والحب، وقد اعتمدنا المنهج الوصفي التحليلي كونهما الأنسب لهاته الدراسة، والذي أثبتت فعاليتهما، من خلال بروز علاقة الوطن بالصور التي تم ذكرها.

الكلمات المفتاحية:

الصورة، الوطن، المرأة، المكان، الحب، السيميائية

## Abstract:

This study aims at highlighting the narrative image and its importance in the literature by applying it to a narrative model represented in the novel Al-Watan. Here is not an article by Murad Al-Dafri, an analytical study. We first dealt with the definition of the narrative and its implications in the text and the context. Women, place and love, and we have adopted the descriptive analytical approach as the most appropriate for this study, which proved their effectiveness, through the emergence of the relationship of the country with the pictures mentioned.

Mots-cles: Photo, home, woman, place, love, semiotics

